وجوب تعظيم الله تعالى والنهي عن سبه

التوحيد

مجلة إسلامية ▪ ثقافية ▪ شهرية تصدر عن جماعة أنصار السنة المحمدية العدد ٥١٤ - السنة الثالثة والأربعون - شوال ١٤٣٥ هـ
الثمن جنيهان

حكم التورق

ماذا بعد رمضان

فقه التعامل مع الأزمات

بِمَ أقبلتَ يا عيدُ؟!!

السلام عليكم

بِمَ أقبلتَ يا عيدُ؟!!

ليس العيد لمن لبس الجديد، ونادى في الناس «عيد سعيد»، وإنما العيد لمن حقق التوحيد، وأطاع العزيز الحميد.

والعيد وإن كان فيه مباحات دنيوية، فلو حسنت فيها النية، وخرجت عن الإسراف والعشوائية، تحققت فيها إرادة ربانية ، هي شكره، والتقرب إليه وذكره، «وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَاكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ »[البقرة: ١٨٥].

العيد أن يأتي كلُ من تَخَاصَمَ وتَحارب، ليلتقي بخصومه ويتقارب، فقد غفر الله الذنوب وستر العيوب، إلا لمن تشاحن وتلاحى، وامتدت العداوة بينه وبين أخيه حتى يصطلحا، وخيرهما عند رب الأنام، الذي بادر وبدأ بالسلام.

العيد ألا ننسى إخوانًا لنا في بلاد حولنا شردتهم الخطوب، وأنهكتهم الحروب، أب فقيد ، وجد قعيد، وأم ثكلى تحمل من الغم المزيد ، قد عصر الغم مهجتها ، وأمات الهم بهجتها.

فاللهم فرج همهم ، وبدلهم من بعد خوفهم أمنا.

جاء العيد عليهم فلم يروا فرحته، ولم يستشعروا لذته، فَقَدِمَ ولم يشعروا بقدومه، ومضى والكثير مُثْقَلٌ بهمومه. أنتَ تقول: «عيد سعيد» ، وهم يقولون: بِمَ أقبلت يا عيد؟!

التحرير

بسم الله الرحمن الرحيم

ثمن النسخة

مصر ٢٠٠ قرشاً ، السعودية ٦ ريالات ، الامارات ٦ درهم ، الكويت ٥٠٠ فلس، المغرب دولار أمريكي ، الاردن ٥٠٠ فلس، قطر ٦ ريالات ، عمان نصف ريال عماني ، أمريكا ٢ دولار ، أوروبا ٢ يورو

الاشتراك السنوي

١- في الداخل ٣٠ جنيهاً بحوالة فورية باسم مجلة التوحيد . على مكتب بريد عابدين مع إرسال صورة الحوالة الفورية على فاكس مجلة التوحيد ومرفق بها الاسم والعنوان ورقم التليفون

٢- في الخارج ٢٥ دولاراً أو ١٠٠ ريال سعودى أو مايعادلهما.

ترسل القيمة بسويفت أو بحوالة بنكية أو شيك على بنك فيصل الاسلامى فرع القاهرة . باسم مجلة التوحيد . أنصار السنة «حساب رقم / ١٩١٥٩٠»

بشرى سارة

تعلن إدارة المجلة عن رغبتها في تفعيل التواصل بينها وبين القراء في كل ما يتعلق بالأمور الشرعية لعرضها على لجنة الفتوى ونشرها بالمجلة على البريد الإلكتروني التالي: q.tawheed@yahoo.com

التحرير

٨ شارع قولة عابدين - القاهرة
ت: ٢٣٩٣٦٥١٧ - فاكس: ٢٣٩٣٠٦٦٢

البريد الإلكتروني

MGTAWHEED@HOTMAIL.COM

رئيس التحرير:
GSHATEM@HOTMAIL.COM

قسم التوزيع والاشتراكات

ت: ٢٣٩٣٦٥١٧
ISHTRAK.TAWHEED@YAHOO.COM

المركز العام:

هاتف: ٢٣٩١٥٥٧٦ - ٢٣٩١٥٤٥٦
WWW.ANSARALSONNA.COM

مفاجأة كبرى

نقدم للقارئ كرتونة كاملة تحتوي على ٤٢ مجلداً
من مجلدات مجلة التوحيد عن ٤٢ سنة كاملة

السنة الثالثة والأربعون / العدد : ٥١٤ - شوال ١٤٣٥

في هذا العدد

افتتاحية العدد: الرئيس العام ٢
فقه التعامل مع الأزمات: د. عبد الرحمن السديس ٦
باب التفسير: د. عبد العظيم بدوي ١٠
تحقيق الإسلام لأمن المجتمع: الشيخ صفوت الشوادفي ١٤
باب السنة: د. مرزوق محمد مرزوق ١٧
درر البحار: علي حشيش ٢١
وقفات وعبر في الصلاة على خير البشر: صلاح عبد الخالق ٢٣
فرحة العيد : عبده أحمد الأقرع ٢٧
أعيادنا بين العادة والعبادة: الشيخ محمد البشير الإبراهيمي ٣٠
وقفات تربوية في ختام شهر رمضان:
عبد العزيز مصطفى الشامي ٣٣
واحة التوحيد: علاء خضر ٣٦
دراسات شرعية: متولي البراجيلي ٣٨
ماذا بعد رمضان: صلاح نجيب الدق ٤٢
باب الاقتصاد: د. علي أحمد السالوس ٤٦
نظرات في سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم:
جمال عبد الرحمن ٤٩
تحذير الداعية من القصص الواهية: علي حشيش ٥٣
مدخل إلى العقيدة الإسلامية: د. عبد الله شاكر ٥٧
التعصب وأثره على الأمة: أسامة سليمان ٦١
قرائن اللغة والنقل والعقل: د. محمد عبد العليم الدسوقي ٦٤
باب الفقه: د. حمدي طه ٦٨
باب الفتاوى ٧١

فاعلم أنه لا إله إلا الله

جماعة أنصار السنة المحمدية
صاحبة الامتياز

رئيس مجلس الإدارة
د. عبدالله شاكر الجنيدي

المشرف العام
د. عبدالعظيم بدوي

رئيس التحرير
جمال سعد حاتم

اللجنة العلمية
جمال عبدالرحمن
معاوية محمد هيكل
د. مرزوق محمد مرزوق

مدير التحرير الفني
حسين عطا القراط

سكرتير التحرير
مصطفى خليل أبو المعاطي

الإخراج الصحفي
أحمد رجب محمد
محمد محمود فتحي

مطابع الأهرام التجارية - قليوب - مصر

منفذ البيع
الوحيد بمقر
مجلة التوحيد
الدور السابع

٧٥٠ جنيهاً ثمن الكرتونة للأفراد والهيئات والمؤسسات داخل مصر و٢٦٠ دولاراً خارج مصر شاملة سعر الشحن

التوزيع الداخلي: مؤسسة الأهرام وفروع أنصار السنة المحمدية

افتتاحية العدد

وجوب تعظيم الله تعالى والنهي عن سبه

بقلم/ الرئيس العام

د/ عبدالله شاكر الجنيدي

www.sonna_banha.com

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، وعلى آله وصحبه، وبعدُ:

فإن تعظيم الله تعالى، ومعرفة قدره، والقيام بحقه من أوجب الواجبات على العباد، فهو الخالق البارئ المصور، مالك الملك جل في علاه، وجميع الكائنات بما أودع فيها رب العباد تشير إلى عظمته وتدل على ربوبيته ووحدانيته، ولو نظر العبد نظرة سريعة إلى عظيم صنع الله فيه لعرف الآيات البينات الدالة على ذلك، وصدق ربي- عز وجل- في قوله: « وَفِىٓ أَنفُسِكُمْۚ أَفَلَا تُبْصِرُونَ » [الذاريات:٢١].

والعبد ينتقل من طور إلى آخر، ومن حال إلى حال، وقد رُكِّب من أعضاء وضع كل عضو منها في الموضع المفتقر إليه، إلى غير ذلك مما لا يمكن أن يحصيه قلم كاتب، أو يستوفي الكلام فيه لسان بليغ، ولهذا وجب على كل مخلوق معرفة عظمة ربه ومولاه، وما يستحقه من العبودية وحده دون سواه، ووصفه بما يليق به سبحانه، وقد نعى نوح على قومه تعظيمهم لربه، كما ذكر القرآن الكريم ذلك في قوله: « مَّا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا » [نوح:١٣]، قال ابن عباس في الآية: «ما لكم لا تعظمون الله حق عظمته».

وعن مجاهد أنه قال: «لا تبالون عظمة ربكم». [انظر تفسير الطبري ج٢٩/٥٩].

وقال الحسن: «لا تعرفون لله حقًا ولا تشكرون له نعمة». وقال ابن كيسان: «ما لكم لا ترجون في عبادة الله أن يثيبكم على توقيركم لله». [معالم التنزيل للبغوي ج٤/٣٩٨].

كما نعى الله في كتابه على المنكرين لبعثة الأنبياء والمرسلين، واعتبر ذلك تنقيصًا لرب العالمين، قال تعالى: « وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ إِذْ قَالُوا۟ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَىٰ بَشَرٍ مِّن شَىْءٍ » [الأنعام:٩١]، والمعنى: ما عظموه حق تعظيمه، وما وصفوه حق صفته، وقد تتابعت كلمات أهل العلم والمصلحين في كل زمان ومكان على أهمية مراعاة حق الله تعالى، ووجوب تبجيله وتعظيمه، والنهي عن شتمه وسبّه سبحانه، غير أن فريقًا من الناس لم يعرف ذلك كالمكذبين للرسل، أو الظانين أن حرية التعبير عن الرأي تبيح لهم سبّ الله تعالى، ولهذا فإني سأذكر هنا بعضًا من الأدلة الناهية عن ذلك، مبينًا قبح وشناعة من يقع في شيء من ذلك، وأبدأ أولاً بذكر معنى السب، قال ابن منظور: «السَّبُّ: الشتم، وهو مصدر: سبَّه يسبُّه سبًا: شتمه، والتساب: التشاتم، وتسابوا: تشاتموا». [لسان العرب ١/٤٥٥، ٤٥٦].

وقال الراغب الأصفهاني: «السب: الشتم الوجيع،

قال سبحانه: «وَلَا تَسُبُّوا۟ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ فَيَسُبُّوا۟ ٱللَّهَ عَدْوًۢا بِغَيْرِ عِلْمٍ» [الأنعام:١٠٨]، وسبهم له ليس على أنهم يسبونه صريحًا، ولكنهم يخوضون في ذكره، فيذكرونه بما لا يليق، ويتمادون في ذلك بالمجادلة فيزدادون في ذكره بما تنزه تعالى عنه. [المفردات: ص٢٢٥].

قلت: وهذا نوع من السب الواقع في حق الله تعالى، ويفهم من هذا أن الكلام الذي يقصد به الانتقاص والاستخفاف، أو الاستهزاء ونحوه كالإهانة، والقول الفاحش، والإشارة الفاحشة كل هذا يعد من السب، ولا ريب أن سبَّ الله تعالى من أقبح وأشنع الجرائم ولا ينفع فاعله ادعاؤه التوحيد والإيمان.

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: «فمن اعتقد الوحدانية في الألوهية لله سبحانه وتعالى، والرسالة لعبده ورسوله صلى الله عليه وسلم، ثم لم يتبع هذا الاعتقاد موجبه من الإجلال والإكرام الذي هو حال في القلب يظهر أثره على الجوارح، بل قارنه الاستخفاف والتسفيه والازدراء بالقول أو الفعل، كان وجود هذا الاعتقاد كعدمه، وكان ذلك موجبًا لفساد الاعتقاد ومزيلاً لما فيه من المنفعة والصلاح، إذ الاعتقادات الإيمانية تزكي النفوس وتصلحها، فمتى لم توجب زكاة النفس ولا صلاحها، فما ذاك إلا لأنها لم ترسخ في القلب، ولم تصر صفة ونعتًا للنفس. [الصارم المسلول ١/٣٧٥].

والقرآن الكريم قد احتاط للذات الإلهية، غاية الاحتياط وذلك بكثرة ذكر صفات الجلال والكمال، وتنزيهه سبحانه عن صفات النقص، وكذلك نهيه سبحانه عن سب آلهة المشركين التي يعبدونها من دون الله، حتى لا يترتب على سبها سبُّ رب العالمين، قال الله تعالى: «وَلَا تَسُبُّوا۟ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ فَيَسُبُّوا۟ ٱللَّهَ عَدْوًۢا بِغَيْرِ عِلْمٍ» [الأنعام:١٠٨]، قال ابن كثير في تفسيره: «يقول الله تعالى ناهيًا لرسوله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين عن سب آلهة المشركين، وإن كان فيه مصلحة، إلا أنه يترتب عليه مفسدة أعظم منها، وهي مقابلة المشركين بسب إله المؤمنين، وهو الله لا إله إلا هو كما قال علي بن أبي طالب عن ابن عباس في هذه الآية: قالوا: يا محمد، لتنتهين عن سب آلهتنا، أو لنهجون ربك، فنهاهم الله أن يسبوا أوثانهم، وقال عبد الرزاق عن معمر عن قتادة: كان المسلمون يسبون أصنام الكفار، فيسب الكفار الله عدوًا بغير علم، فأنزل الله الآية. [تفسير ابن كثير ٢/٢٢٤].

ومن هذا القبيل- وهو ترك المصلحة لمفسدة أرجح منها- ما جاء في البخاري وغيره عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إن من أكبر الكبائر أن يلعن الرجل والديه، قيل: وكيف يلعن الرجل والديه؟ قال: يسب الرجل أبا الرجل فيسب أباه ويسب أمه». [خ: ٥٩٧٣].

وقد استبعد السائل في الحديث أن يسب الرجل والديه؛ لأن الطبع المستقيم يأبى ذلك، فبين له النبي صلى الله عليه وسلم أنه وإن لم يتعاطَ السبَّ بنفسه في الأغلب الأكثر، لكن قد يقع منه التسبب فيه كما في هذه الحالة، قال ابن بطال: «هذا الحديث أصل في سد الذرائع،

ليس سب الله فقط أن يقع لفظاً صريحاً بل مِن سبّه: الخوض في ذكره بما لا يليق، والتمادي في ذلك بالمجادلة في ذكره بما تنزه عنه.

ويؤخذ منه أن من آل فعله إلى محرم يحرم عليه ذلك الفعل، وإن لم يقصد إلى ما يحرم، والأصل في هذا الحديث قوله تعالى: « وَلَا تَسُبُّوا۟ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ » [الأنعام:١٠٨]، واستنبط منه الماوردي منع بيع الثوب الحرير ممن يتحقق أنه يلبسه. [فتح الباري ١٠/٤٠٤].

ومثل هذا الكلام من هؤلاء الأئمة الأعلام يدل على الفقه في الدين- رحمهم الله- وما أرى التنبيه عليه في هذا المقام أن خصمك إذا تكلم معك بجهل وسفاهة لم يجز لك أن ترد عليه بمثل قوله؛ لأن هذا يفتح باب المشاتمة والسفاهة، وهذا مما يترفع عنه العقلاء، وقد لعن الله في كتابه من آذاه في الدنيا والآخرة والسب والاستهزاء من أعظم الأذية، قال الله تعالى: « إِنَّ ٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْـَٔاخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُّهِينًا » [الأحزاب:٥٧]، واللعن هو الطرد والإبعاد من رحمة الله تعالى، وهو واقع على من فعل ذلك في الدنيا والآخرة بنص الآية، وهو بعدٌ لا رجاء للقرب معه؛ لأن المبعد في الدنيا يرجو القربة في الآخرة، فإذا أبعد أيضا في الآخرة فقد خاب وخسر، وينبغي أن يعلم أن أذية الله تعالى لا تضره سبحانه؛ لأن الأذى على نوعين: أذى يضر، وأذى لا يضر، والله تبارك وتعالى لا يضره شيء، كما جاء في الحديث القدسي: «يا عبادي، إنكم لن تبلغوا ضري فتضروني». [مسلم: ٢٥٧٧].

وقد فضح الله المنافقين في كتابه لما استهزءوا بالله وآياته ورسوله صلى الله عليه وسلم كما قال تعالى: « يَحْذَرُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ أَن تُنَزَّلَ عَلَيْهِمْ سُورَةٌ تُنَبِّئُهُم بِمَا فِى قُلُوبِهِمْ قُلِ ٱسْتَهْزِءُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ مُخْرِجٌ مَّا تَحْذَرُونَ ﴿٦٤﴾ وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ ۚ قُلْ أَبِٱللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ وَرَسُولِهِۦ كُنتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ ﴿٦٥﴾ لَا تَعْتَذِرُوا۟ قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ ۚ إِن نَّعْفُ عَن طَآئِفَةٍ مِّنكُمْ نُعَذِّبْ طَآئِفَةًۢ بِأَنَّهُمْ كَانُوا۟ مُجْرِمِينَ » [التوبة:٦٤- ٦٦]، وقد ذكر المفسرون في سبب نزول الآية أقوالا متعددة منها ما ذكره ابن كثير عن قتادة أنه قال: «بينما النبي صلى الله عليه وسلم في غزوة، وركب من المنافقين يسيرون بين يديه، فقالوا: يظن هذا أن يفتح قصور الروم وحصونها، هيهات هيهات، فأطلع الله نبيه صلى الله عليه وسلم على ما قالوا، فقال: «عليَّ بهؤلاء النفر». فدعاهم فقال: «قلتم كذا وكذا»، فحلفوا: ما كنا إلا نخوض ونلعب. [تفسير ابن كثير ٢/٥٧].

لعن الله تعالى في كتابه من آذاه في الدنيا والآخرة وذلك بطرده وإبعاده عن رحمة الله تعالى .

وأقول: تبًّا لهؤلاء، حتى ولو كانوا خائضين لاعبين لم يجدوا إلا الرب العظيم وآياته ورسوله صلى الله عليه وسلم، وقد أفادت الآية أن الخوض واللعب إذا كان موضوعه صفات الله تعالى وأفعاله وشرعه وآياته المنزلة على عبده، وأفعال رسوله صلى الله عليه وسلم وأخلاقه وسيرته كان ذلك استهزاءً بجلال الله وكماله، ولا يقبل اعتذار فاعل ذلك بأنه هازل غير جاد.

يقول الشيخ رشيد رضا رحمه الله: «والمعنى أن الله تعالى نبأ رسوله صلى الله عليه وسلم نبأ مؤكدًا بصيغة القسم أنه إن سألهم عن أقوالهم هذه يعتذرون عنها بأنهم لم يكونوا فيها جادين ولا منكرين، بل هازلين لاعبين، كما هو شأن الذين يخوضون في الأحاديث المختلفة للتسلي والتلهي، وكانوا يظنون أن هذا عذر مقبول

لجهلهم أن اتخاذ أمور الدين لعبًا ولهوًا لا يكون إلا ممن اتخذه هزوًا، وهو كفر محض، ويغفل عن هذا كثير من الناس يخوضون في القرآن والوعد والوعيد، كما يفعلون إذ يخوضون في أباطيلهم وأمور دنياهم، وفي الرجال الذين يتفكهون بالتنادر عليهم والاستهزاء بهم». [تفسير المنار ١٠/٦١٣].

وقد تتابعت أقوال أهل العلم في التحذير من السخرية والاستهزاء برب البرية، أو بشيء مما أنزله، أو من آياته الكونية، وكذلك من أرسل من الأنبياء والمرسلين، ولذلك وجب- ولا بد- من تعظيم الله تعالى ومعرفة قدره، وما وقع المشركون في الشرك، وما عُبدت الأصنام إلا بسبب عدم معرفة قدر الكبير سبحانه، وقد أشار إلى ذلك القرآن الكريم في قوله: «يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَٱسۡتَمِعُواْ لَهُۥٓۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَن يَخۡلُقُواْ ذُبَابًا وَلَوِ ٱجۡتَمَعُواْ لَهُۥۖ وَإِن يَسۡلُبۡهُمُ ٱلذُّبَابُ شَيۡـٔٗا لَّا يَسۡتَنقِذُوهُ مِنۡهُۚ ضَعُفَ ٱلطَّالِبُ وَٱلۡمَطۡلُوبُ ﴿٧٣﴾ مَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدۡرِهِۦٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ» [الحج:٧٣-٧٤].

قال ابن القيم- رحمه الله-: «ومن عرف الله أحبه على قدر معرفته به، وخافه ورجاه، وتوكل عليه، وأناب إليه، ولهج بذكره، واشتاق إلى لقائه، واستحيا منه، وأجلّه وعظمه على قدر معرفته به». [مدارج السالكين ٣/٣٥٥].

هذا وسب الله تعالى يقع على نوعين: الأول: سبّ مباشر، كلعنه والاستهزاء به، وتنقصه سبحانه، وهذا يقع من الكافرين والمنافقين، والثاني: سبّ غير مباشر، كسبّ ما يتصرف الله به من آياته أو مخلوقاته، وهذا يقع من بعض العوام وجهلة المسلمين، ولا يقصدون بذلك رب العالمين، ولكن يجب ألا يقع فيه المسلم؛ لأن هذا فيه إيذاء لله تعالى، كما في الصحيحين وغيرهما من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «قال الله عز وجل: يؤذيني ابن آدم يسب الدهر، وأنا الدهر، بيدي الأمر أقلب الليل والنهار». والمعنى أن ما يقع في الكون من مخلوقات الله تعالى وآياته بتدبر الله سبحانه، فالشمس والقمر، والليل والنهار مُسيرة بأمر الله، ولا تخرج عن إرادته وحده، وليس لها مشيئة أو اختيار، فسبُّها تعد على مُسيرها سبحانه، واعتراض على حكمته وإرادته، فكان سبها سبًا لله بطريق اللزوم.

قال الخطابي- رحمه الله- في معنى الحديث: «أنا صاحب الدهر ومدبر الأمور التي ينسبونها إلى الدهر، فمن سب الدهر من أجل أنه فاعل هذه الأمور فسبه إلى ربه الذي هو فاعلها». [فتح الباري: ٨/٥٧٥].

وفي ختام القول: أحذر غاية الحذر من تنقُص الله تعالى وسبه، أو الاعتراض على أمره وحكمه، أو الاستهزاء بآياته الشرعية، كالقرآن الكريم، وذلك بالنيل منه، أو القول بأنه أساطير الأولين، أو كان لأمة سلفت وانتهت، كذلك لا يجوز الاستهزاء بشيء من شرائع الإسلام وشعائره؛ كالصلاة والصيام والحج وغير ذلك.

أسأل الله تبارك وتعالى أن يرزقنا الأدب مع الله، وتعظيمه وتعظيم حرماته بما يليق بجلاله وكماله، والحمد لله رب العالمين.

كثرت أقوال أهل العلم في التحذير من السخرية والاستهزاء برب البرية أو بشيء مما أنزله أو بآياته الكونية أو أنبيائه ورسله.

فقه التعامل مع الأزمات

الشيخ الدكتور
عبد الرحمن السديس
إعداد
إمام وخطيب المسجد الحرام

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده:

أمَا بعد: فيا عباد الله، أوصيكم ونفسي بتقوى الله الملك الرزَاق، ففي تقواه سبحانه أوفرُ الخلاق، وبها النَجاة يومَ التَلاق، فكونوا في تحقيقها في تنافس واستباق، واحـذَروا التفريط فيها، فعاقبة أهلهَ المثلاتُ التي لا تطاق، ومَا لهم منَ الله من وليَ ولا وَاق.

حاجة الأمة إلى فقه التعامل مع الأزمات:

أيَها المسلمون، في ظلِ النوازل والأزمات وفي خضَمَ تداعيات الأحداث والنَكبات تتعاظم حَاجة الأمَة إلـى الفقه العميق والنَظر الدقيق والمنهج الوثيق المتمثَل في فقه التعامل مع الأزَمـات والـنَـوازل حتى لا تختلط الأوراق وتنقلبَ الـموازيـنَ وتنعكسَ المعايير، ولكيلا تـزلَ الأقـدام وتضلَ الأفهام وتكلَ الأقلام ويختل الإعلام.

> في ظلَ النوازل والأزمـات وفي خضـمَ تـداعـيـات الأحـداث والـنَـكـبـات تتعاظم حاجة الأمَـة إلـى الـفـقـه العميق والنَظر الدقيق والمنهج الوثيق المتمثَل في فقه التعامل مع الأزَمات والنَوازل .

خطورة النوازل والأزمات:

في الـنَـوازل والأزمـات يتعاظم الخطرُ على الهويَة والثوابت، وتحتاج سفينة الأمَة إلى رُبَان مهرة يحسنون قيادةَ دفَتها إلى شاطئ السلامة والنجاة وساحل الأمـن والأمـان؛ حتـى تَحفَـظ للأمة حقوقها العقديَة والأمنيَة في تحـقـيـق لكلمة التوحيد وتوحيد الكلمة عليها، لأنَهما صمامَ الأمان أمام العواصف الهوجاء التي تمرَ بها أمَتنا، وتكاد لخطورتها تنسيها كلَ الأزَمـات التي مرَت عليها في تأريخها المعاصر.

سنة الابتلاء:

معاشرَ المسلمين، لما كانت هذه الدنيا دارَ اختبار وابتلاءٍ وممرًا إلى الآخرة دار الحساب والجزاء شاء المولى جل وعلا لحكمته أن يتقلَب فيها النَاس بين السراء والضراء والشدَة والرَخاء، وأن يتعرَضوا للمصائب والمحـن، ولا تخلو حياتهم من نوائبَ وأزماتٍ وفتَن، ولله في ذلك كلَه الحكمة البالغة.

نعمة الشريعة الإسلامية:

ومن رحمته جلَ وعلا بعباده أن منَحهم شرعَةً غرَاء تَحكمهم في جميع الظروف والأوقـات، تنير لهم الطريقَ في السراء والضراء وحين البأس والأرزاء، وتأخذ بأيديهم أيَـامَ المحن والشدائد والأزمـات، وهذا السَنَن الربانيَ تنزَه عن الحسَب والنَسَب وأقَام في البـرايـا الـذهـولَ والعجـب، وهو بلا شكَ مسبار للأفراد وعلل القلوب ومصقلة لأدواء الأمم والشعـوب، ومـن ثبت في التمحيص بلغ من الظفر والتمكين كل الـذرى، ومن تسخَط وجزع باءَ بالخسار عياذا بالله وارتكس في أوحال الثرى.

من حكم الابتلاء:

ولا يظنَنَ ظانَ أنَ الابتلاء بالضراء نقص كلَه وشرَ كلَه، كـلاَ، بل تضمَن من الحكـم والأسـرار والمنـازل عليَة الأقـدار ما لا يخفى على ذوي البصائر والأبصار.

فمنها الرجوعُ والاستكانة والتضرَع إلى الله سبحانه واليقين بـأنَ ما يحدُث في هـذا الكون فبتقديره وتدبيره، «وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ »[الأنعام:١١٢]، وأنَ إليه الملجأ والمعاذ والمهربَ والملاذ، وقد عاب سبحانه على من لم يستكن إليه ويتضرَع عند الشدائد، «وَلَقَدْ أَخَذْنَـٰهُم بِٱلْعَذَابِ فَمَا ٱسْتَكَانُوا۟ لِرَبِّهِمْ وَمَا يَتَضَرَّعُونَ » [المؤمنون:٧٦].

ومنها التمحيص والاصطفاءُ وترويض النفوس على مرَ الابتلاء.

وفي الجملة فلا تخلو المصائب والأزمات من عبَر لأهل الإيمان، ففيها تنبيهُ الغافل، وتعليم الجاهل، وتقوية الروابط على الاتحاد والوئام، ونبذ التنازع والتشتّت والخصام، «وَلَا تَنَٰزَعُواْ فَتَفۡشَلُواْ وَتَذۡهَبَ رِيحُكُمۡ» [الأنفال:٤٦].

أمّة الإسلام، قضاء الباري بالغ النّفوذ، وليس إلاّ عليه نتوكّل وبه نلوذ، وها هي الأمّة الإسلاميّة لا تزال تحتسي القلقَ والضّنى، وتقتات الويلات والعنا، جرّاءَ الكرب المتفاقم والخطبِ المتعاظم في أرضنا أرضِ العراق.

مطالبة بالإنهاء الفوري للحرب:

أجَل، لا بدَّ أن يُرفعَ عن سماءِ الأمّة هذا الكابوس، وهذه الحربِ الضّروس التي لا زال مشتعلاً فتيلها، حامياً وطيسُها، بالحلول السّريعة السّلمية المتّئدة القائمة على الحكمة والعقل وبُعد النّظر في العواقب، تحت مظلّة الشريعة الغرّاء والدساتير العالميّة والأنظمة الدوليّة لحقوق الإنسان والأعراف والمواثيق المحترمة لسيادة الأوطان.

مفاسد الحروب وأضرارها:

إنّنا باسم الشعوب الإسلاميّة والإنسانيّة نوجّه النداءَ الحارّ إلى الرّأي العامِ العالميّ وصنّاع القرار للوقف الفوريّ لهذه الحرب الطاحنة، واستمرار أعمال العنف والشغب والفوضى التي تقود المنطقةَ إلى أنفاقٍ مظلمة وسراديبَ معتمة ومجهولة النهايَة.

فمنَ الضروريّ المبادرة إلى إطفاء فتيلها حتى تضع الحربُ أوزارَها، ويُكفى المسلمون شرَّها وأوارَها، وحماية للمدنيّين الأبرياء، وتفادياً للخسائر في الأرواح والممتلكات، وحفاظاً على أمن الشعوب والمجتمعات، وإبقاءً على المعالم الحضارية والتاريخية للعواصم العلميّة والحواضر الإسلامية، وسدًا للطريق أمام القوى الصهيونيّة الغاشمة التي استغلّت انشغالَ العالَم بهذه الحوادث والمستجدات، فعملت على توسيع نفوذها في أرض الرسالات ومهد البطولات على ثرى فلسطين المجاهدة.

دعوة لأخذ الدروس والعبر:

أربابَ السلام ، دعاة الحريّة والإنسانيّة، يا شرفاءَ العالم في كلّ مكان، هبّوا سراعاً إلى الحل الناجز والتحرّك الإيجابيّ السريع، لإنهاء هذه القضيّة المأساويّة والكارثة الإنسانية، قبل أن تُسلَب أرسَان الثقة والمصداقيّة من كثير من الهيئات الدوليّة والمنظمات العالميّة، واعلموا أنّه ما ضاق شيء إلا اتّسع بالمساعي الحثيثة خطوُه، وما ظهر فتق إلا أمكن بالعهود والمواثيق رَفوُه، والله المستعان، « قُل لَّن يُصِيبَنَآ إِلَّا مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَنَا هُوَ مَوۡلَىٰنَاۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلۡيَتَوَكَّلِ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ » [التوبة:٥١]، « سَيَجۡعَلُ ٱللَّهُ بَعۡدَ عُسۡرٖ يُسۡرٗا » [الطلاق:٧]، وإن في طيّات المحن لمنَحا، وفي ثنايا النّقم لنعمًا، (واعلم أنّ النصرَ مع الصبر، وأنّ الفرَج مَع الكرب، وأنّ مع العسر يسرا) [صححه الألباني في صحيح سنن الترمذي (٢٠٤٣)].

إخوة الإيمان، ها أنتم أولاء تلقاء محن نجمت، وخطوب مُريعة هَجَمت وجَثمت، فتبصّروا في هذه الحوادث والسيَر، وانتزعوا منها الدّروس والعبَر، لا سيّما في التوحيد والوحدة، « إِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمۡ أُمَّةٗ وَٰحِدَةٗ وَأَنَا۠ رَبُّكُمۡ فَٱعۡبُدُونِ » [الأنبياء:٩٢].

التحذير من المتنكّرين لأمتهم:

أمّة الإسلام، وفي غَمرة هذه الأحداث الدامية والأوقات المستعرة الحامية تلجأ بعضُ النّفوس الضعيفة التي خَلت من المروءة وتعرّت مِن الوفاء والنّبل لتشرَخ تلاحمَ الأمّة ووحدتها، ولتلبّس على النّزهاء والبرآء زعوماً ودعاوى بشائعات باطلة وأكاذيب ملفّقة، هي جراثيم قاتلة وفيروسات مُهلكة وجراحات مدمّرة وحربٌ نفسيَة خطرة وتحطيم للمَعنويّات ووأد للطموحات، والله عزّ وجل يقول: « يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن جَآءَكُمۡ فَاسِقُۢ بِنَبَإٖ فَتَبَيَّنُوٓاْ أَن تُصِيبُواْ قَوۡمَۢا بِجَهَٰلَةٖ فَتُصۡبِحُواْ عَلَىٰ مَا فَعَلۡتُمۡ نَٰدِمِينَ » [الحجرات:٦]، ويقول سبحانه: « وَٱلَّذِينَ يُؤۡذُونَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ بِغَيۡرِ مَا ٱكۡتَسَبُواْ فَقَدِ ٱحۡتَمَلُواْ بُهۡتَٰنٗا وَإِثۡمٗا مُّبِينٗا » [الأحزاب:٥٨].

وكلّما اتسعت رقعة الشائعات الباطلات والأراجيف الذائعات التي يروّجها ذو قحة وغلالة صفيقة كان إثمه عند الله أعظم، فعلى المُسلم العفّ أمامَ هذه الإفرازات النفسيّة الداكنة أن يتمثّل قولَ الحقّ جلّ

في النّوازل والأزمات يتعاظم الخطرُ على الهويّة والثوابت، وتحتاج سفينة الأمّة إلى رُبّان مهرة يحسنون قيادةَ دفّتها إلى شاطئ السلامة والنجاة .

جلاله: «وَلَوْلَآ إِذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُم مَّا يَكُونُ لَنَآ أَن نَّتَكَلَّمَ بِهَٰذَا سُبْحَٰنَكَ هَٰذَا بُهْتَٰنٌ عَظِيمٌ »[النور:١٦].

أيّها المسلمون، مَن كان كلامه رسلاً وهَذَرا فليتذكَر قول الباري سبحانه وتعالى: «مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ »[ق:١٨]. ومن سَرَى في خَلَده أنّه نائل بالسفاسف والترَّهات من ترابطنا الذهبيّ البديع وتآلفنا المتألّق المنيع فيقال له: هيهاتَ هيهات، فالطود أشمّ، والوفاق بحمد الله أتمّ.

التحذير من الإشاعات:

فالحذرَ الحذر - عباد الله - من تناقل وتداول الشائعات المغرضة التي غدت سلاحاً فتّاكاً ومعولاً هدّاماً يقوّض وحدةَ الصف، ويفسد العلاقة بين الرّعاة والرعية والعلماء والعامّة والشباب والشيوخ، ويزرع الشكَ وسوءَ الظنّ بين أبناء المجتمع، وبخاصّة مع انتشار وسائل الاتصال الحديثة التي أضحى بعض مواقعها ومنتدياتها مراحيض إلكترونية تُزكم الأنوف بعفنها ونتنها أجلّكم الله، فكم أشهرَت من قبائح، وأعلنت من فضائح، وأظهرت من معائب، ونشرت من سوآت ومثالب، يترفّع منها العقلاء والشرفاء.

> الشائعات المغرضة غدت سلاحاً فتّاكاً ومعولاً هدّاماً يقوّض وحدةَ الصف، ويفسد العلاقة بين الرعاة والرعية والعلماء والعامّة والشباب والشيوخ، ويزرع الشك وسوءَ الظنّ بين أبناء المجتمع.

واجب المسلم عند الأزمات

والواجب على المجتمَع المسلم أن يكون حصنًا حصينا ضدّ الشائعات المغرضة، فالرسول يقول: ((كفى بالمرء كذباً أن يحدِّث بكلِّ ما سمِع)) [أخرجه مسلم في مقدمة صحيحه (٥)].

فليُعرض المسلم ويَربأ بنفسه عن سماعها وترويجها، فالركون إليها وتناقلها يؤدِّي إلى مفاسدَ خطيرة، تهدّد بنيانَ المجتمع، وتقوّض بناءَ الأمة، وتقضي على البقيّة الباقية من تلاحمها وتعاونها.

أمّة الإسلام، إنّ من الفقه عند الأزمات أن يُنظر إليها برؤية شرعية، تحليلاً وتطبيقاً، فالإسلام يحرّم الظلمَ والعدوان، ويوجب على المسلمين التناصرَ والتآزر حسَب ما تقتضيه الظروف والأحوال، فعلى المسلم أن لا ينسى إخوانه المسلمين من دعائه« أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَآءَ ٱلْأَرْضِ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ »[النمل:٦٢].

في الأزمات حيث خريفُ تساقط القيَم يتعيّن على المسلم الأخذ بأسباب الثبات على صحيح المعتقد وسلامة المنهج عند غياب صحيح المنهج، والتقيّد بالضوابط الشرعيّة من لزوم الرّفق والسّكينة، والتثبّت والأناة وعدم العجلة، وحفظ اللسان، والتبصّر في عواقب الأمور، والقرب من نصحاء الأمة وصلحاءِ المجتَمع، وعدم الاستشراف للفتَن، فمن يستشرفَ لها تستشرفه، كما في حديث أبي هريرة رضي الله عنه في الصحيحين[٤]، وأن لا يُتَكلف في ليِّ أعناقِ النّصوص الشرعيّة لتنزيلها على الوقائع العصريّة بلا أثارةٍ من علم، وكذا عدمُ تداول الأحاديث الضعيفة والموضوعة، كما ينبغي تغليبُ العقل على العاطفة والرويّة والمنطق على التشنّج والانفعالات، وتقديمُ الرأي والمشورَة على ما يُظنّ من الإقدام والشجاعة، والبعد عن الغوغائية والغثائية التي لا تصيب صيداً ولا تنكأ عدوا، والحذر من الانسياق وراءَ ما يُدّعى من جهاد موهوم لم تتبيّن له رايَة، ولم تظهر له غايَة، ولم تتحقّق فيه الشروط الشرعيّة والمقاصد المرعيّة، ومنها المحافظة التامّة على لحمتنا الاجتماعيّة، وجبهتنا الداخليّة، وقيادتنا الشرعيّة والعلميّة، من أولي الأمر المسلمين والعلماءِ الربانيين، وحسن الظنّ بهم، وعدم تصديق الدّخلاء والمرجفين الذين يظهرون في الأزمات، خفافيش ظلمات، وطفيليات زرعٍ ونبات، يصطادون بالمياه العكرة، وينفُذون في الطّرق الوعرة،« وَإِذَا جَآءَهُمْ أَمْرٌ مِّنَ ٱلْأَمْنِ أَوِ ٱلْخَوْفِ أَذَاعُوا۟ بِهِۦ ۖ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى ٱلرَّسُولِ وَإِلَىٰٓ أُو۟لِى ٱلْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسْتَنۢبِطُونَهُۥ مِنْهُمْ »[النساء:٨٣].

المستقبل للإسلام:

إخوةَ العقيدة، ومهما اربدّت الآفاقُ في مرأى العين، فإنّ دينكم بحمد الله دينُ الثبوت والبقاء، محال أن يعتريَه الزوال والفناء، روى الإمام أحمد والحاكم بسند صحيح أن رسول الله قال: ((ليبلغنَّ هذا الأمر ما بلغ الليل والنهار، ولا يترك الله بيتَ مدرٍ ولا وبَر إلاّ أدخله الله هذا الدين، بعزّ عزيز أو بذلّ ذليل)) [أخرجه أحمد (١٠٣/٤)، وصححه الألباني على

شرط مسلم في تحذير الساجد (ص١١٨-١١٩)]. وقد أعطى المولى حبيبَه ومصطفاه وخليله ومجتباه محمَّداً أن لا يُهلك أمته بسنَة بعامَة، وأن لا يسلّط عليهم عدوًا من سوى أنفسهم، فيستبيح بيضتهم ولو اجتمع عليهم من بأقطارها. [أخرجه مسلم في الفتن (٢٨٨٩)].

دعوة لدراسة أسباب النصر والهزيمة:

ألا ما أحوجَ الأمّة أن تدرُس أسبابَ النّصر والهزيمة بمنظورٍ جديد ورأيٍ سديد وموقف رشيد ومنهج حميد، وأن تدقق في المقاصد والغايات والنتائج لاعتلاءِ شرفِنا السامق ومجدنا الشامخ بإذن الله، وحذارِ حذارِ من اليأس والقنوط والإحباط، وإلى مزيدٍ من التفاؤل والاستبشار، فالنصرُ للإسلام وأهلَه، والقوة لله جميعاً، «وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَٰكِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ» [المنافقون:٨]، «فَقُطِعَ دَابِرُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ ۚ وَٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ» [الأنعام:٤٥].

حفظ الله أمَّتنا من كيد الكائدين وحقد الحاقدين وعدوان المعتدين، وأصلح أحوالَ المسلمين في كلِّ مكان، وكشف الغمّة عن هذه الأمّة، وأعاذنا والمسلمين من مضلّات الفتن ما ظهر منها وما بطن، إنّه جواد كريم.

> ما أحوج الأمّة أن تدرُس أسبابَ النّصر والهزيمة بمنظورٍ جديد ورأي سديد ومنهج حميد، وأن تدقّق في المقاصد والغايات والنتائج لاعتلاء شرفنا السامق ومجدنا الشامخ بإذن الله .

الدّرعان الواقيان:

أيّها الإخوة في الله، إنَّ على شبابِ الأمّة الفطن الواعي ـ وفقهمُ الله ـ بل والمسلمين عامّة في هذه الأحداث والأزمات قصيرة العمُر بحول الله أن يتدرّعوا بدرعين واقيَين بإذن الله هما درع الأوبة إلى الله وصدق الالتجاء إليه، والإلحاح في الدعاء، فهو سهام الليل التي لا تخطئ، والسلاح الخفيّ الذي لا يُخيب، ودرعُ الالتفاف حول القيادة المسلمة وكوكبة العلماء الربانيّين، استرشاداً بتوجيهاتهم واستنارةً بإرشاداتهم، كيف لا؟! وهم مسَاك الدين وملاكه وأنصاره وهداته، وبهم يُحفَظ الدين، وهم الموقّعون عن ربّ العالمين، ومن صدَر أو ورَد عن غير رأيهم وبصيرتهم فيُخشى عليه المزلّة والعطب.

دور العلماء والدعاة:

وإنَّ علماءَ الشريعة ودعاة الإصلاح ـ وفقهم الله ـ لمدركون مدى الأمانة المناطة بأعناقهم، سيّما في الشدائد والأزمات، وإنَّ المنصفَ لواجدُهم أشدَّ الناس حرصاً على توجيه الأمّة وبيان الحقّ بالهدي النبويّ المتضمّن للحكمة والكياسة والأناة والحصافة، مصطحبين القواعدَ الشرعيّة والمقاصد المرعيّة، من دفع المفاسد والشرور وجلب المصالح والخيور، عملاً بالقاعدة الذهبيّة: التصرُّف في الرعيّة منوط بالمصلحة الشرعيّة، وخصوصاً إذا اتّقدت العواطف والتهبت المشاعر، ووقتئذ فالأمّة أحوجُ ما تكون إلى الدّليل المخلص والربان الماهر والهادي الرشيد بالرأي الحصيف والقول السديد، وإذا كثر الملاّحون غرقت السفينة، فلا بدّ من تجاوُز الخلافات والمعارك الوهمية والحوارات العقيمة الهامشيّة، لا بدّ من تفعيل الدّور التربويّ للوسائل الإعلاميّة وعدم التضخيم والإثارة والبلبلة والتهويل والتهويش والتحريش والتّشويش، والحذر من الاجتهادات الفرديّة والتصرّفات الآحاديّة وبثّ الفتاوى الطائرة وإصدار الأحكام الجِزاف الجائرة التي تدَع الأفهامَ حائرَة، وتجرّ البلاد والعباد إلى فتن عمياء، لا يعلم عواقبَها إلاّ الله سبحانه.

وللأمّة في تاريخها المجيد نماذجُ باهرة في الحزم والحكمة، فهذا أبو بكر يومَ الردّة، وهذا الإمام أحمد يومَ المحنة، وهذا شيخ الإسلام ابن تيمية رحمهم الله جميعا، وغيرهم كثير. إنّنا بهذا لا نلغي المشاعرَ والعواطف المتدفقة لدى شباب الأمّة غيرةً على الدينِ والملّة، فبُوركت غيرتهم، وسُدّدت خطاهم، بل نحمدُها لهم، ونستبشر بها الخيرَ إن شاء الله، ولكنّنا ندعو إلى حسن توظيفها، والاستبصار بعواقبها، والتحليق بجناحَي العقل والعاطفة، إذ الاستقلال بأحدهما مفسدةٌ وشطط عن سواء الحقّ، وفي التواؤم بينهما تحقيقٌ للوسطية والاعتدال، ونزوع إلى الطريقِ السويّ بإذن الله، ويعلم الله وحده أنّ هذا محضُ الحُبّ والنّصح لهم والمودّة والحدْب عليهم[أي: العطف عليهم والرفق بهم].

اللهم أعز الإسلام والمسلمين...

سورة الشورى

الحلقة الثانية

إعداد **د. عبد العظيم بدوي**

قال تعالى: « فَاطِرُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِۚ جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا وَمِنَ ٱلْأَنْعَٰمِ أَزْوَٰجًاۖ يَذْرَؤُكُمْ فِيهِۚ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١١﴾ لَهُۥ مَقَالِيدُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِۖ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُۚ إِنَّهُۥ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿١٢﴾ ۞ شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِۦٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓۖ أَنْ أَقِيمُوا۟ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا۟ فِيهِۚ كَبُرَ عَلَى ٱلْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِۚ ٱللَّهُ يَجْتَبِىٓ إِلَيْهِ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِىٓ إِلَيْهِ مَن يُنِيبُ » [الشورى: ١١- ١٣].

«فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ» أي: ربي الذي عليه توكلت وإليه أنيب، هو فاطر السموات والأرض، أي منشئوهما من غير مثال سابق، كما قال سبحانه: « بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ» [البقرة: ١١٧]، أي منشئوهما من العدم من غير مثال يحتذى.

« جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا»، كما قال سبحانه: « يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءًۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا» [النساء: ١]، وبين سبحانه الحكمة من خلق الأزواج في قوله: « هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا» [الأعراف: ١٨٩]، وقوله سبحانه: « وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓا۟ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةًۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ » [الروم: ٢١].

« وَمِنَ الأَنْعَامِ أَزْوَاجًا» أي: وجعل لكم من الأنعام أزواجا، فصلها في قوله تعالى: « ثَمَٰنِيَةَ أَزْوَٰجٍۖ مِّنَ ٱلضَّأْنِ ٱثْنَيْنِ وَمِنَ ٱلْمَعْزِ ٱثْنَيْنِۗ قُلْ ءَآلذَّكَرَيْنِ حَرَّمَ أَمِ ٱلْأُنثَيَيْنِ أَمَّا ٱشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ أَرْحَامُ ٱلْأُنثَيَيْنِۖ نَبِّـُٔونِى بِعِلْمٍ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿١٤٣﴾ وَمِنَ ٱلْإِبِلِ ٱثْنَيْنِ وَمِنَ ٱلْبَقَرِ ٱثْنَيْنِۗ قُلْ ءَآلذَّكَرَيْنِ حَرَّمَ أَمِ ٱلْأُنثَيَيْنِ أَمَّا ٱشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ أَرْحَامُ ٱلْأُنثَيَيْنِۖ أَمْ كُنتُمْ شُهَدَآءَ إِذْ وَصَّىٰكُمُ ٱللَّهُ بِهَٰذَاۚ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا لِّيُضِلَّ ٱلنَّاسَ بِغَيْرِ عِلْمٍۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ» [الأنعام: ١٤٣- ١٤٤].

« يَذْرَؤُكُمْ فيه» أي يكثركم عن طريق التزاوج المعروف، الذي يحصل به التناسل والتكاثر، وكذلك الأمر في الأنعام، يكون التكاثر والتناسل عن طريق التزاوج.

قاعدة في الأسماء والصفات:

« لَيْسَ كمثله شَيْءٌ» في ذاته، وليس كمثله شيء في صفاته، وليس كمثله شيء في أفعاله، «وَهُوَ السَّمِيعُ» الذي يسمع جميع الأصوات، على تعدد اللغات، واختلاف اللهجات، « الْبَصِيرُ» الذي يرى النملة السوداء، على الصخرة الصماء، في الليلة الظلماء.

وهذه الآية هي عمدة أهل السنة والجماعة

في مذهبهم في الأسماء والصفات، يقولون: نثبت لله تعالى ما أثبته الله لنفسه، في محكم كتابه، أو فيما صح على لسان رسوله، من غير تكييف ولا تحريف، ولا تمثيل ولا تعطيل، وقوفا عند قوله تعالى: «لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ »، فأول الآية رد على المشبهة، وآخرها رد على المعطلة، وسبيل الحق بينهما لأهل السنة: إثبات بلا تشبيه، وتنزيه بلا تعطيل.

قال أبو حنيفة -رحمه الله-: «لا يُشبه (الله) شيئًا من خلقه، ولا يشبهه شيء من خلقه. وصفاته كلها خلاف صفات المخلوقين، يعلم لا كعلمنا، ويقدر لا كقدرتنا، ويرى لا كرؤيتنا».

وقال نعيم بن حماد-رحمه الله-: «من شبَّه الله بشيء من خلقه فقد كفر، ومن أنكر ما وصف الله به نفسه فقد كفر، وليس فيما وصف الله به نفسه ولا رسوله تشبيه» [شرح الطحاوية(١٢٠)].

«لَهُ مَقَالِيدُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ»: المقاليد جمع إقليد، وهي المفاتيح، فإذا كانت المفاتيح له سبحانه، فالخزائن من باب أولى له، ولذلك قال سبحانه: «وَلِلَّهِ خَزَائِنُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَفْقَهُونَ » [المنافقون: ٧]، وقال تعالى: «وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا عِندَنَا خَزَائِنُهُ وَمَا نُنَزِّلُهُ إِلَّا بِقَدَرٍ مَّعْلُومٍ » [الحجر: ٢١]، فالخزائن عنده، والمفاتيح بيده، «يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ وَيَقْدِرُ» أي يوسع على من يشاء، ويضيق على من يشاء، «إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ».

إن الدين عند الله الإسلام:

«شَرَعَ لَكُم مِّنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ »:

لما عظَّم الله تعالى وحيه إلى النبيّ صلى الله عليه وسلم بقوله: «كَذَلِكَ يُوحِي إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكَ اللَّهُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ » [الشورى: ٢]، ذكر في هذه الآية تفصيل ذلك، وهو ما شرعه له ولهم من الاتفاق على عبادته وحده لا شريك له، كما قال: «وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ »[الأنبياء: ٢٥]، وفي الحديث:

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه عَنْ رَسُولِ الله صلى الله عليه وسلم قَالَ: «الأَنْبِيَاءُ إِخْوَةٌ مِنْ عَلاَّتٍ أُمَّهَاتُهُمْ شَتَّى، وَدِينُهُمْ وَاحِدٌ» [صحيح البخاري ٣٤٣١]، يعني أنهم متفقون في أصل الدين وهو عبادة الله تعالى وحده لا شريك له، وإن اختلفت شرائعهم ومناهجهم. كقوله تعالى: «لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا » [المائدة: ٤٨].

وتخصيص هؤلاء الخمسة، وهم أولو العزم عليهم السلام، بالذكر؛ لأنهم أكابر الأنبياء، وأصحاب الشرائع العظيمة، والأتباع الكثيرة، ولاستمالة قلوب الكفرة، لاتفاق الكل على نبوّة بعضهم. وابتدأ بنوح عليه السلام لأنه أول الرسل. والمعنى: شرع لكم من الدين ما وصى به جميع الأنبياء من عهد نوح عليه السلام إلى زمن نبينا صلى الله عليه وسلم.

والتعبير بالتوصية فيهم والوحي له، للإشارة إلى أن شريعته صلى الله عليه وسلم هي الشريعة الكاملة. ولذا عبَّر فيه بـ(الّذي) التي هي أصل الموصولات. وأضافه إليه بضمير العظمة، تخصيصا له ولشريعته بالتشريف، وعظم الشأن، وكمال الاعتناء. وهو السر في تقديمه على ما بعده مع تقدمه عليه زمانًا. [محاسن التأويل(١٤/ ٢٩٩و٣٠٠)].

«أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ » أي: أمركم أن تقيموا جميع شرائع الدين أصوله وفروعه، تقيمونه بأنفسكم، وتجتهدون في إقامته على غيركم، وتعاونون على البر والتقوى، ولا تعاونون على الإثم والعدوان.

«وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ » أي: ليحصل منكم الاتفاق على أصول الدين وفروعه، واحرصوا على أن لا تفرقكم المسائل وتحزبكم أحزابا، وتكونون شيعا يعادي بعضكم بعضا، مع اتفاقكم على أصل دينكم. [تيسير الكريم الرحمن (٦/ ٥٩٩)].

قال القرطبي- رحمه الله-: وليس فيه دليل على تحريم الاختلاف في

الفروع، فإن ذلك ليس اختلافا، إذ الاختلاف ما يتعذر معه الائتلاف والجمع، وأما حكم مسائل الاجتهاد فإن الاختلاف فيها بسبب استخراج الفرائض ودقائق معاني الشرع، وما زالت الصحابة يختلفون في أحكام الحوادث، وهم مع ذلك متآلفون. [الجامع لأحكام القرآن (٤/ ١٥٩)].

وقد كثر في القرآن الكريم الأمر بالاجتماع والنهي عن التفرق:

قال تعالى: « وَٱعْتَصِمُوا۟ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا۟» [آل عمران: ١٠٢]، وَقَالَ تَعَالَى: « وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ تَفَرَّقُوا۟ وَٱخْتَلَفُوا۟ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٠٥﴾ يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ ۚ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ فَذُوقُوا۟ ٱلْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿١٠٦﴾ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱبْيَضَّتْ وُجُوهُهُمْ فَفِى رَحْمَةِ ٱللَّهِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ »» [آل عمران: ١٠٥- ١٠٧]، وقال تعالى: « وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ» [الأنعام: ١٥٣]، وقال تعالى: « وَلَا تَكُونُوا۟ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٣١﴾ مِنَ ٱلَّذِينَ فَرَّقُوا۟ دِينَهُمْ وَكَانُوا۟ شِيَعًا ۖ كُلُّ حِزْبٍۭ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ » [الروم: ٣١- ٣٢]، وذم سبحانه وتعالى الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا وتوعدهم، فقال تعالى: « وَتَقَطَّعُوا أَمْرَهُم بَيْنَهُمْ كُلٌّ إِلَيْنَا رَاجِعُونَ » [الأنبياء: ١٢]، وقال تعالى: « فَتَقَطَّعُوٓا۟ أَمْرَهُم بَيْنَهُمْ زُبُرًا ۖ كُلُّ حِزْبٍۭ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ ﴿٥٣﴾ فَذَرْهُمْ فِى غَمْرَتِهِمْ حَتَّىٰ حِينٍ » [المؤمنون: ٥٣ - ٥٤]، وبرأ الله تعالى نبيه صلى الله عليه وسلم من الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا، فقال تعالى: « إِنَّ ٱلَّذِينَ فَرَّقُوا۟ دِينَهُمْ وَكَانُوا۟ شِيَعًا لَّسْتَ مِنْهُمْ فِى شَىْءٍ ۚ إِنَّمَآ أَمْرُهُمْ إِلَى ٱللَّهِ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُوا۟ يَفْعَلُونَ» [الأنعام: ١٥٩].

وَقَدْ وَرَدَت الأَحَادِيثُ المُتَعَدِّدَةُ بِالنَّهْيِ عَنِ التَّفَرُّقِ، وَالأَمْرِ بِالاجْتِمَاعِ وَالائْتِلَافِ:

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّه عنه، أَنَّ رَسُولَ اللَّه صلى اللَّه عليه وسلم قَالَ: «إِنَّ اللَّه يَرْضَى لَكُمْ ثَلَاثًا، وَيَسْخَطُ لَكُمْ ثَلَاثًا، يَرْضَى لَكُمْ أَنْ تَعْبُدُوهُ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا، وَأَنْ تَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّه جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا، وَأَنْ تُنَاصِحُوا مَنْ وَلَّاهُ اللَّه أَمْرَكُمْ، وَيَسْخَطُ لَكُمْ ثَلَاثًا: قِيلَ وَقَالَ، وَكَثْرَةَ السُّؤَالِ، وَإِضَاعَةَ المَالِ» [صحيح مسلم ١٧١٥].

وَعَنِ الْعِرْبَاضِ بْنِ سَارِيَةَ رَضِيَ اللَّه عنه قَالَ: وَعَظَنَا رَسُولُ اللَّه صلى اللَّه عليه وسلم يَوْمًا بَعْدَ صَلَاةِ الْغَدَاةِ مَوْعِظَةً بَلِيغَةً، ذَرَفَتْ مِنْهَا الْعُيُونُ، وَوَجِلَتْ مِنْهَا الْقُلُوبُ، فَقَالَ رَجُلٌ: إِنَّ هَذِهِ مَوْعِظَةُ مُوَدِّعٍ فَمَاذَا تَعْهَدُ إِلَيْنَا يَا رَسُولَ اللَّه؟ قَالَ: «أُوصِيكُمْ بِتَقْوَى اللَّه، وَالسَّمْعِ وَالطَّاعَةِ وَإِنْ عَبْدٌ حَبَشِيٌّ، فَإِنَّهُ مَنْ يَعِشْ مِنْكُمْ يَرَى اخْتِلَافًا كَثِيرًا، وَإِيَّاكُمْ وَمُحْدَثَاتِ الأُمُورِ، فَإِنَّهَا ضَلَالَةٌ، فَمَنْ أَدْرَكَ ذَلِكَ مِنْكُمْ فَعَلَيْهِ بِسُنَّتِي وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ الْمَهْدِيِّينَ عَضُّوا عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِذِ» [صحيح سنن أبي داود: ٣٨٥١].

وَعَنْ مُعَاوِيَةَ بْنِ أَبِي سُفْيَانَ رَضِيَ اللَّه عنهم قَالَ إِنَّ رَسُولَ اللَّه صلى اللَّه عليه وسلم قَالَ: «إِنَّ أَهْلَ الْكِتَابَيْنِ افْتَرَقُوا فِي دِينِهِمْ عَلَى ثِنْتَيْنِ وَسَبْعِينَ مِلَّةً، وَإِنَّ هَذِهِ الأُمَّةَ

احرصوا على أن لا تفرقكم المسائل وتحزبكم أحزابا، وتكونون شيعا يعادي بعضكم بعضا، مع اتفاقكم على أصل دينكم.

سَتَفْتَرِقُ عَلَى ثَلَاثٍ وَسَبْعِينَ مِلَّةً، يَعْنِي الأَهْوَاءَ، كُلُّهَا فِي النَّارِ إِلَّا وَاحِدَةً وَهِيَ الْجَمَاعَةُ». [صحيح سنن أبي داود: ٣٨٤٣].

فعلى المسلمين أن يستجيبوا لله وللرسول، وأن يعتصموا بحبل الله جميعا، فإنه باجتماعهم على دينهم، وائتلاف قلوبهم يصلح دينهم، وتصلح دنياهم، وبالاجتماع يتمكنون من كل أمر من الأمور، ويحصل لهم من المصالح التي تتوقف على الائتلاف ما لا يمكن عدها، كما أن بالافتراق والتعادي يختل نظامهم، وتنقطع روابطهم، ويصير كل واحد يعمل ويسعى في شهوة نفسه، ولو أدى إلى الضرر العام.

على المسلمين أن يستجيبوا لله وللرسول، وأن يعتصموا بحبل الله جميعا، فإنه باجتماعهم على دينهم، وائتلاف قلوبهم يصلح دينهم، وتصلح دنياهم.

قال الرازي-عفا الله عنه-: قَوْلُه تَعَالَى: «أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ»: مُشْعِرٌ بِأَنَّ حُصُولَ الْمُوَافَقَةِ أَمْرٌ مَطْلُوبٌ فِي الشَّرْعِ وَالْعَقْلِ، وَبَيَانُ مَنْفَعَتِهِ مِنْ وُجُوهٍ:

الأَوَّلُ: أَنَّ لِلنُّفُوسِ تَأْثِيرَاتٍ، وَإِذَا تَطَابَقَتِ النُّفُوسُ وَتَوَافَقَتْ عَلَى وَاحِدٍ قَوِيَ التَّأْثِيرُ.

الثَّانِي: أَنَّهَا إِذَا تَوَافَقَتْ صَارَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهَا مُعِينًا لِلْآخَرِ فِي ذَلِكَ الْمَقْصُودِ الْمُعَيَّنِ، وَكَثْرَةُ الْأَعْوَانِ تُوجِبُ حُصُولَ الْمَقْصُودِ، أَمَّا إِذَا تَخَالَفَتْ تَنَازَعَتْ وَتَجَادَلَتْ فَضَعُفَتْ فَلَا يَحْصُلُ الْمَقْصُودُ.

الثَّالِثُ: أَنَّ حُصُولَ التَّنَازُعِ ضِدُّ مَصْلَحَةِ الْعَالَمِ، لِأَنَّ ذَلِكَ يُفْضِي إِلَى الْهَرْجِ وَالْمَرْجِ، وَالْقَتْلِ وَالنَّهْبِ، فَلِهَذَا السَّبَبِ أَمَرَ اللَّهُ تَعَالَى فِي هَذِهِ الْآيَةِ بِإِقَامَةِ الدِّينِ عَلَى وَجْهٍ لَا يُفْضِي إِلَى التَّفَرُّقِ، وَقَالَ فِي آيَةٍ أُخْرَى «وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا» [الأَنْفَال: ٤٦]. التَّفسِير الكبير (٢٧/ ٥٨٨).

«كَبُرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ» أي من إخلاص العبادة لله، وإفراده بالألوهية، والبراءة مما سواه من الأوثان، «اللَّهُ يَجْتَبِي إِلَيْهِ مَنْ يَشَاءُ» وهو من صرف اختياره إلى ما دعي إليه، «وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ يُنِيبُ» أي يوفق للعمل لطاعته واتباع رسله من يقبل إلى طاعته ويتوب من معاصيه. [محاسن التأويل (١٤ / ٣٠٠)].

وإذا كان الذي شرعه الله من الدين للمسلمين المؤمنين بمحمد هو ما وصى به نوحا وابراهيم وموسى وعيسى، ففيم يتقاتل أتباع موسى وأتباع عيسى؟ وفيم يتقاتل أصحاب المذاهب المختلفة من أتباع عيسى؟ وفيم يتقاتل أتباع موسى وعيسى مع أتباع محمد؟ وفيم يتقاتل من يزعمون أنهم على ملة إبراهيم من المشركين مع المسلمين؟

ولم لا يتضام الجميع ليقفوا تحت الراية الواحدة التي يحملها رسولهم الأخير؟ والوصية الواحدة الصادرة للجميع: «أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ»، فيقيموا الدين، ويقوموا بتكاليفه، ولا ينحرفوا عنه ولا يلتووا به، ويقفوا تحت رايته صفا، وهي راية واحدة، رفعها على التوالي نوح وابراهيم وموسى وعيسى صلوات الله عليهم حتى انتهت إلى محمد صلى الله عليه وسلم في العهد الأخير.

وللحديث بقية إن شاء الله، والحمد لله رب العالمين.

تحقيق الإسلام لأمن المجتمع

الحمد لله وحده، وصلاة وسلامًا على رسوله المصطفى، وخليله المجتبى وبعد:

فإن الأمن والرزق نعمتان من أكبر نعم الله على عباده المؤمنين الموحدين، ولذلك اقترن كل منهما بالآخر في كتاب الله.

ففي دعاء إبراهيم عليه السلام «رَبِّ ٱجْعَلْ هَٰذَا بَلَدًا ءَامِنًا وَٱرْزُقْ أَهْلَهُۥ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ» **(البقرة: ١٢٦) وفي دعائه الآخر** «وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ رَبِّ ٱجْعَلْ هَٰذَا ٱلْبَلَدَ ءَامِنًا وَٱجْنُبْنِى وَبَنِىَّ أَن نَّعْبُدَ ٱلْأَصْنَامَ» **(إبراهيم: ٣٥) ومن هذا نتبين أن هناك ثلاثة محاور أو ركائز تقوم عليها حياة الإنسان كلها!**

إعداد **الشيخ صفوت الشوادفي** رحمه الله

إعداد / اللجنة العلمية بتصرف

الركيزة الأولى: التوحيد «وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ الأَصْنَامَ».

الركيزة الثانية: الأمن «رَبِّ اجْعَلْ هَذَا الْبَلَدَ ءَامِنًا».

الركيزة الثالثة: الطعام «وَارْزُقْ أَهْلَهُ مِنَ الثَّمَرَاتِ».

فإذا تدبرت هذه الركائز الثلاث ستجد أنها مصدر الحياة السعيدة المستقرة الآمنة التى يسعى لتحصيلها كل البشر مؤمنهم وكافرهم!! لكن: ما هى العلاقة بين هذه المحاور؟ القرآن الكريم يعطيك الجواب، ويسوق البيان في هذه النماذج التى ذكرها لتكون عبرة لأولى الألباب:

ففي الحوار الذي دار بين إبراهيم عليه السلام وقومه يبدو لنا في وضوح وجلاء العلاقة القوية بين التوحيد والأمن فهو عليه السلام يقول لقومه: «وَكَيْفَ أَخَافُ مَآ أَشْرَكْتُمْ وَلَا تَخَافُونَ أَنَّكُمْ أَشْرَكْتُم بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ عَلَيْكُمْ سُلْطَٰنًا فَأَىُّ ٱلْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِٱلْأَمْنِ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ»؟ (الأنعام: ٨١).

ويأتي الجواب القاطع:

«ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَمْ يَلْبِسُوٓا۟ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ» (الأنعام: ٨٢).

وهذه هي الحقيقة الأولى: «التوحيد مصدر الأمن» وكل مجتمع بشري لا يمكنه أن يصل إلى تحقيق أمنه حاكمًا ومحكومًا، أفرادًا وجماعات إلا من هذا الطريق!! والتوحيد إفراد الله بالعبادة.. والعبادة الصحيحة الخالصة طريقها الكتاب والسنة بفهم سلف الأمة.

وعندما امتن الله على قريش، ودعاهم إلى توحيده، فإنه سبحانه وتعالى قال لهم ولنا معهم: «فَلْيَعْبُدُوا۟ رَبَّ هَٰذَا ٱلْبَيْتِ ③ ٱلَّذِىٓ أَطْعَمَهُم مِّن جُوعٍ وَءَامَنَهُم مِّنْ خَوْفٍۭ» (قريش: ٣-٤).

فالله عز وجل أطعمهم من الجوع، وأمنهم من الخوف، وأمرهم بعبادته. فإن لم يفعلوا نزع منهم نعمة الطعام فجوعهم!! ونزع منهم نعمة الأمن فخوفهم!!.

وليس هذا خاصًا بقريش، بل هو سنة من سنن الله الكونية التى نبه عليها القرآن الكريم في قوله تعالى: «وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ ءَامِنَةً مُّطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِّن كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ ٱللَّهِ فَأَذَٰقَهَا ٱللَّهُ لِبَاسَ ٱلْجُوعِ وَٱلْخَوْفِ بِمَا كَانُوا۟ يَصْنَعُونَ» (النحل: ١١٢).

وحتى لا يغفل المسلمون عن هذه السنة الكونية، فإن الله قد ذكرها لنا واقعًا نراه!! وتطبيقًا نعيشه، وننظر فيه فيما حكاه القرآن عن سبأ!! ولو أن المسلمين أمعنوا النظر في هذه القصة لاستقاموا على الطريقة! وعادوا إلى الله من قريب. تدبر هذه الآيات:

«لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكَنِهِمْ ءَايَةٌ» وسع الله لهم

الرزق فقال: «جَنَّتَانِ عَنْ يَمِينٍ وَشِمَالٍ» وهو ما يسمى «الأمن الغذائي»! وأمرهم بعبادته «كُلُوا مِنْ رِزْقِ رَبِّكُمْ وَاشْكُرُوا لَهُ بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ».

فلما أعرضوا سلب الله منهم الأمن «فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ الْعَرِمِ» وحرمهم رغد العيش «وَبَدَّلْنَاهُمْ بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ ذَوَاتَيْ أُكُلٍ خَمْطٍ وَأَثْلٍ وَشَيْءٍ مِنْ سِدْرٍ قَلِيلٍ».

وجعلهم الله أحاديث! ومزقهم كل ممزق!! إن الله قد فعل بهم ذلك جزاء كفرهم وجحودهم «ذَلِكَ جَزَيْنَاهُمْ بِمَا كَفَرُوا» ثم نبهنا إلى حقيقة هامة حتى لا نغفل عنها «وَهَلْ نُجَٰزِيٓ إِلَّا ٱلْكَفُورَ»؟!! (سبأ: ١٥-١٧).

وفى القرآن الكريم يبين الله سبحانه وتعالى عظيم نعمته على قريش في قوله: «أَوَلَمْ يَرَوْاْ أَنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا ءَامِنًا وَيُتَخَطَّفُ ٱلنَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ» (العنكبوت: ٦٧).

أى أن الله جعلهم في أمن وأمان، والأعراب من حولهم يقتل بعضهم بعضًا، وينهب بعضهم بعضًا، ومع هذه النعمة العظيمة قال كفار قريش لرسول الله صلى الله عليه وسلم: «إِن نَّتَّبِعِ ٱلْهُدَىٰ مَعَكَ نُتَخَطَّفْ مِنْ أَرْضِنَآ» (القصص: ٥٧).

وهنا نحتاج إلى تدبر عميق لهذه السنة الكونية؟ فإن كفار قريش قد مكن الله لهم حرمًا آمنًا يجبى إليه ثمرات كل شيء، فلما عاندوا وأعرضوا وجحدوا وكذبوا أذاقهم الله الخزي والذل، وأبدلهم من بعد أمنهم خوفًا، وملأ قلوبهم رعبًا!! كما قال: «سَنُلْقِى فِى قُلُوبِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱلرُّعْبَ بِمَآ أَشْرَكُواْ بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَٰنًا» (آل عمران: ١٥١).

فبين أن هذا الرعب سببه الشرك بالله!! وأما المؤمنون الموحدون فقد كانوا في مبدأ أمرهم خائفين بمكة فأبدلهم الله بعد خوفهم أمنًا، وبعد ذلهم عزًا!! وقال لهم: «وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنتُمْ أَذِلَّةٌ» (آل عمران: ١٢٣).

وذكرهم بنعمة الأمن بعد الخوف في قوله: «وَٱذْكُرُوٓاْ إِذْ أَنتُمْ قَلِيلٌ مُّسْتَضْعَفُونَ فِى ٱلْأَرْضِ تَخَافُونَ أَن يَتَخَطَّفَكُمُ ٱلنَّاسُ فَـَٔاوَىٰكُمْ وَأَيَّدَكُم بِنَصْرِهِۦ وَرَزَقَكُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ» (الأنفال: ٢٦).

وبهذه المقارنة يتبين لنا: أن الله عز وجل ألقى الرعب في قلوب الكافرين بشركهم وجعل الأمن والسكينة في قلوب المؤمنين بتوحيدهم! وبهذا نصل إلى الحقيقة الكبرى التي تقول: «التوحيد مصدر الأمن، والشرك مصدر الخوف».

إن الأمن والرزق نعمتان من أكبر نعم الله على عباده المؤمنين الموحدين، ولذلك اقترن كل منهما بالآخر في كتاب الله.

إعانة العصاة على التوبة إلى الله تعالى:

وان من الوسائل المعينة على تحقيق الأمن للمجتمع هو مساعدة العصاة وغيرهم ممن اتخذوا الإجرام مهنة على التوبة من الذنوب والمظالم والعودة إلى الله تعالى.

فإن من سنة الله في عباده: أنه - سبحانه - قد جعلهم متفاوتين في شؤون الدنيا والدين، فهدى قومًا وأضل آخرين؛ قال - تعالى -: (فَرِيقًا هَدَىٰ وَفَرِيقًا حَقَّ عَلَيْهِمُ ٱلضَّلَٰلَةُ) [الأعراف: ٣٠].

وتفاضل العباد في الأرزاق أمرٌ واضح جليٌّ؛ (وَٱللَّهُ فَضَّلَ بَعْضَكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ فِى ٱلرِّزْقِ)[النحل: ٧١]، والحكمة من وراء هذا التفاوت في قوله

- تعالى -: (نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُم مَّعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَوٰةِ الدُّنْيَا وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَٰتٍ لِّيَتَّخِذَ بَعْضُهُم بَعْضًا سُخْرِيًّا وَرَحْمَتُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ) [الزخرف: ٣٢].

وهكذا فإننا نرى أن هذه السُّنةَ الكونية قد جعلتْ عبادَ الله أزواجًا؛ فمنهم العالم وفيهم الجاهل، ومنهم الطائع وفيهم العاصي، وفيهم الأغنياء ومنهم الفقراء، ومنهم السُّني وفيهم المبتدع، ومنهم رجال ومنهم نساء، وهذه أمثلة، وأما الحصر فإنه يعجز العادِّين.

والعاصي، إما أن يستر معصيته، فيكون خيرًا ممن يجاهر بها، وإما أن تُقلَب عنده الحقائق، فيرى معصيتَه طاعةً من الطاعات، ويرى فسادَه صلاحًا! (وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوٓا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ ⑪ أَلَآ إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَٰكِن لَّا يَشْعُرُونَ ﴾ [البقرة: ١١، ١٢].

وهكذا فإنهم يسمُّون الإلحاد تقدمًا، والمروقَ من الدين تحرُّرًا، ويشيعون الفاحشة في المجتمع المسلم، ويقولون: هذا فن، وترويح عن القلوب! ويتعاملون بالرِّبا، ويقولون: هذه ضرورة، وتيسير على الناس!

وقد يستخفُّ العاصي بمعصيته، ويجاهر بها؛ بل وقد يفخر بمعصيته أو بمعصية غيره!

وأكبر المعاصي الشرك بالله الواحد القهار.

والمشركون هم أبعدُ الناس عن الحق؛ ولذلك فإنهم أكثر الناس تطرفًا؛ وهذا هو المقياس الصحيح للتطرف، فأكثر الناس تطرفًا أبعدُهم عن الحق، ثم الذين يلونهم، وهكذا.

وإعانة العصاة على التوبة إلى الله واجبٌ على كل مسلم يقدر على ذلك ويستطيعه، ولكننا كثيرًا ما نفعل العكس!

إن المعصية مرض خطير، والعصاة بحاجة دائمة إلى النصيحة والتذكير برفق، ولين، وحكمة.

وهذه النصيحة الغائبة لها طُرقٌ عديدة، يستخدم المسلم أحدها أو بعضها، فقد تكون كلمة طيبة ينتفع بها العاصي إذا سمعها أو بعد حين، وتكون لقائلها سترًا من النار؛ لقوله - صلى الله عليه وسلم -: «فاتقوا النار ولو بشق تمرة، فمن لم يجد فبكلمة طيبة».

وقد تكون النصيحة كتابًا تهديه للعاصي فينتفع به أو ببعضه، وقد تكون النصيحة شريطًا نافعًا يحوي علمًا صحيحًا، وأنفعَ وسيلة لاستخدام الشريط السيارات ووسائل المواصلات والمحلات.

وهذه الوسيلة تساعد المجتمع على التخلص من كثير من الأصوات المنكرةَ التي تنبعث من الأشرطة الهابطة، فتصم آذاننا، وتفسد أخلاقنا.

وهكذا يمكنك - أيها المسلم الكريم - أن تجعل من الكتاب النافع هدية تصل بها الأرحام، وتقدِّمها للأصحابِ والجيران، يدفعك إلى ذلك دفعًا أنك تحبُّ لأخيك ما تحب لنفسك، وتكره له ما تكره لنفسك، فأنت تحب للناس الهداية كما أنعم الله بها عليك، وتحب لهم كل خير أمدَّك الله به أو تسأل الله منه.

اللهم اهد ضالَّ المسلمين، وتُب على العصاة والمذنبين.

وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وآله وصحبه.

> التوحيد مصدر الأمن، وكل مجتمع بشري لا يمكنه أن يصل إلى تحقيق أمنه حاكمًا ومحكومًا، أفرادًا وجماعات إلا من هذا الطريق!! والتوحيد إفراد الله بالعبادة..

باب السنة

صفة الأولياء

إعداد **د. مرزوق محمد مرزوق**

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وآله وصحبه ومن والاه وبعد:

فإن من دلائل عبودية العبد وإذعانه أن يؤمن بما جاء من وحي في كتاب الله أو على لسان رسوله صلى الله عليه وسلم بلا تعصب أو تمسك برأي موروث، وحول ذلك تثار قضايا عديدة بين مؤيد ومعارض، والحق هو الوسط، والوسط هو السُّنة، ومن ذلك ما ورد في كرامات الأولياء وطريق الولاية.

يقول الإمام البخاري رحمه الله في صحيحه: حَدَّثَني مُحَمَّدُ بْنُ عُثْمَانَ بْنِ كَرَامَةَ، حَدَّثَنَا خَالِدُ بْنُ مَخْلَدٍ، حَدَّثَنَا سُلَيْمَانُ بْنُ بِلَالٍ، حَدَّثَنِي شَرِيكُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي نَمِرٍ، عَنْ عَطَاءٍ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "إِنَّ اللَّهَ قَالَ: مَنْ عَادَى لِي وَلِيًّا فَقَدْ آذَنْتُهُ بِالحَرْبِ، وَمَا تَقَرَّبَ إِلَيَّ عَبْدِي بِشَيْءٍ أَحَبَّ إِلَيَّ مِمَّا افْتَرَضْتُ عَلَيْهِ، وَمَا يَزَالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوَافِلِ حَتَّى أُحِبَّهُ، فَإِذَا أَحْبَبْتُهُ: كُنْتُ سَمْعَهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ، وَبَصَرَهُ الَّذِي يُبْصِرُ بِهِ، وَيَدَهُ الَّتِي يَبْطِشُ بِهَا، وَرِجْلَهُ الَّتِي يَمْشِي بِهَا، وَإِنْ سَأَلَنِي لَأُعْطِيَنَّهُ، وَلَئِنِ اسْتَعَاذَنِي لَأُعِيذَنَّهُ، وَمَا تَرَدَّدْتُ عَنْ شَيْءٍ أَنَا فَاعِلُهُ تَرَدُّدِي عَنْ نَفْسِ المُؤْمِنِ، يَكْرَهُ المَوْتَ وَأَنَا أَكْرَهُ مَسَاءَتَهُ".

أولا: التخريج

هذا الحديث أخرجه البخاري في كتاب الرقاق، باب التواضع (٨/ ١٠٥)(٦٥٠٢).

ثانيا: رجال الإسناد

١- مُحَمَّدُ بْنُ عُثْمَانَ بْنِ كَرَامَةَ: من صغار شيوخ البخاري، وقد شاركه في كثير من شيوخه منهم خالد بن مخلد شيخه في هذا الحديث، فقد أخرج عنه البخاري كثيرًا بغير واسطة منها في باب الاستعاذة من الجبن في كتاب الدعوات، وهو ثقة من الحادية عشرة (تقريب التهذيب ج١ ص٤٩٦) [وانظر الفتح ص (١/ ٤٠٠)].

٢- خَالِدُ بْنُ مَخْلَدٍ: خالد بن مخلد القطواني بفتح القاف والطاء أبو الهيثم البجلي مولاهم الكوفي صدوق يتشيع، وله أفراد، من كبار العاشرة مات سنة ثلاث عشرة وقيل بعدها (تقريب التهذيب ج ١ ص ١٦٦٣) كبار شيوخ البخاري روى عنه، وروى عن واحد عنه.

فائدة حديثية:

هذا الحديث تفرد بإخراجه البخاري دون بقية أصحاب الكتب..

وهو من غرائب الصحيح، فرواه البخاري عن محمد بن عثمان بن كرامة عن خالد بن مخلد القطواني، وقد تكلم فيه الإمام أحمد وغيره، وقالوا: له مناكير، وقال أبو حاتم: لا يُحتج به، وقد قال ابن عدي فيما

نقله عنه ابن حجر في الفتح: "هذا حديث غريب جدًا، ولولا هيبة الصحيح لعدوه في منكرات خالد بن مخلد".

الجواب: قال الحافظ في فتح الباري مجيبًا عن رواية البخاري لخالد بن مخلد: أما التشيع فقد قدمنا أنه إذا كان ثبت الأخذ والأداء لا يضره، لا سيما ولم يكن داعية إلى رأيه، وأما المناكير فقد تتبعها أبو أحمد بن عدي من حديثه وأوردها في كامله، وليس فيها شيء مما أخرجه له البخاري، بل لم أر له عنده من أفراده سوى حديث واحد وهو حديث أبي هريرة (من عادى لي وليًا) الحديث، وروى له الباقون سوى أبي داود، وقد نقل ابن حجر توثيق العجلي وغيره، وأن هذا ليس من منكرات خالد بن مخلد. (انظر: الفتح ١/ ٤٠٠).

٣- حَدَّثَنَا سُلَيْمَانُ بْنُ بِلَالٍ: سليمان بن بلال التيمي مولاهم أبو محمد وأبو أيوب المدني ثقة من الثامنة مات سنة سبع وسبعين. (تقريب التهذيب ج ١ ص ٢٥٣٣).

٤- شَرِيكُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي نَمِرٍ: أبو عبد الله المدني صدوق يخطئ من الخامسة مات في حدود أربعين ومائة (تقريب التهذيب ج ١ ص ٢٧٧٨(.

٥- عَطاء: هو ابن يسار الهلالي أبو محمد المدني مولى ميمونة، ثقة فاضل، صاحب مواعظ وعبادة، من صغار الثانية، مات سنة أربع وتسعين وقيل بعد ذلك. (تقريب التهذيب ج ١ ص ٤٥٩٦.

٦- أبو هريرة الصحابي الجليل عبد الرحمن بن صخر المعروف بأبي هريرة، وانظر ترجمته في أسد الغابة (٢/ ٢٠٠) وغيره من كتب التراجم..

ثالثا: أهمية هذا الحديث

هو حديث قدسي، من كلام الله عز وجل، وللرسول أن يتصرف في ألفاظه بخلاف القرآن.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية عن هذا الحديث: "هو أشرف حديث رُوي في صفة الأولياء" ((الفتاوى)) (١٨/ ١٢٩)، ونقل ابن حجر في فتح الباري عن الطوفي أنه قال: هذا الحديث أصل في السلوك إلى الله والوصول إلى معرفته ومحبته وطريقه؛ إذ المفترضات الباطنة وهي الإيمان، والظاهرة وهي الإسلام، والمركب منهما وهو الإحسان فيهما كما تضمنه حديث جبريل، والإحسان يتضمن مقامات السالكين من الزهد والإخلاص والمراقبة وغيرها. اهـ (الفتح: ١١ / ٣٤٥).

ولأهميته عُني بشرحه علماء الإسلام قديمًا وحديثًا لما اشتمل عليه من جوانب سلوكية كالحث على فعل الفرائض ثم النوافل وأخرى عقدية كإثبات صفة المحبة لله عز وجل، وأن الإيمان يزيد وينقص، وأنه يتفاضل بالأعمال، فذكره الأئمة في كتب العقائد، واختاره الإمام النووي في الأربعين حديثا التي عليها مدار الدين، وأفرد الشوكاني شرحه في كتاب سمَّاه (قطر الوَلْي بشرح حديث الولي).

المـراد بولـي الله: العالم بـالله، المواظـب علـى طاعتـه، المخلـص في عبادتـه، وهـذه صفـة المؤمـن التقـي.

رابعا: الشرح

-" مَنْ عَادَى لِي وَلِيًا " المعاداة ضد الموالاة، والولي ضد العدو، المُرَاد بوَلِيِّ الله: الْعَالم بـالله، الْمواظب عَلَى طاعَته، الْمخلص في عبَادَته؛ وهذه صفة المؤمن التقي؛ ومعنى قَوْله: " عَادَى لِي وَلِيًا " أَيْ: اتَّخذَهُ عَدُوًا.

-" فقَدْ آذَنْته بالْحَرْب " أَيْ: أَعْلمْته أنه محارب لي؛ فيتعرض لإهْلاكي إيَّاهُ، قلت: ثم ذكر أسباب الولاية فقال: "وَمَا تَقَرَّبَ إلَيَّ عَبْدِي بشَيْءٍ أَحَبَّ إلَيَّ ممَّا افْتَرَضْت عَلَيْه " يَدْخل تَحت هَذَا اللَّفْظ جَميعُ فَرَائض الْعَيْنِ وَالْكفَايَة، وَيُسْتَفَادُ منْه أَنَّ أَدَاء الْفَرَائض أَحَبُّ الأَعْمَال إلى الله ؛ لأَن في الإِتْيَان بالْفَرَائض عَلَى الْوَجْه الْمَأْمور به امْتثَال الأَمْر، وَاحْترَامُ الآمر وَتَعْظيمُهُ بالانْقيَاد إلَيْه، وَإظْهَارُ عَظَمَة الرُّبُوبيَّة، وَذُل الْعُبُوديَّة ؛ فَكَانَ التَّقَرُّب بذلك أَعْظَمَ الْعَمَل.

-" وَمَا يَزَالُ يَتَقَرَّب إلَيَّ " التَّقَرُّب: طَلَبُ الْقُرْب " بالنَّوَافل حَتَّى أُحْبَه " الْمُراد بالنَّوَافل جَميع مَا يُنْدَب منَ الأَقْوَال وَالأَفْعَال، والمعنى: إنَّهُ إذا أَدَّى الْفَرَائض وَدَامَ عَلَى إتْيَان النَّوَافل منْ صَلَاة وَصيَام وَغَيْرهمَا أَفْضَى به ذَلك إلَى مَحَبَّة الله تَعَالَى.

المحبوبَ المقرَّب له عند الله منْزلة خاصة تقتضي أنَّه إذا سأل الله شيئًا، أعطاه إياه، وإن استعاذَ به من شيءٍ، أعاذه منه.

-" كُنْتَ سَمْعَهُ الَّذي يَسْمَعُ به، وَبَصَرَهُ الَّذي يُبْصرُ به " قيل: المَعْنَى كليَّته مَشْغُولَةٌ بي فَلَا يُصْغي بِسَمْعه إلا إلى مَا يُرْضيني، وَلا يَرَى بِبَصره إلَّا مَا أَمَرْتُهُ بِهَ" وَلَئنْ سَأَلَني لأعْطيَنَّه": أَيْ مَا سَأَل؛ " وَلَئنْ اسْتَعَاذَني لأعيذَنَّهُ" أي: مما يخاف؛ فهذا المحبوبَ المقرَّب، له عند الله منْزلةٌ خاصة تقتضي أنَّه إذا سأل الله شيئًا، أعطاه إياه، وإن استعاذَ به من شيءٍ، أعاذه منه، وإن دعاه أجابه، فيصير مجابَ الدعوة لكرامته على ربه " وَمَا تَرَدَّدْتُ عَنْ شَيْءٍ أَنَا فَاعلُهُ تَرَدُّدي عَنْ نَفْس المُؤْمن يَكْرَهُ المَوْتَ وَأَنَا أَكْرَهُ مَسَاءَتَهُ " أَخْبَرَ أَنَّهُ يَكْرَهُ المَوْتَ وَيَسُوؤُهُ، وَيكْرَهُ الله مَسَاءَتَهُ ؛ قيل: هَذَا خطَابٌ لَنَا بِمَا نَعْقل، وَالرَّبُّ مُنَزَّهٌ عَنْ حَقيقَته، بَلْ هُوَ منْ جنْس قَوْله: " وَمَنْ أَتَاني يَمْشي أَتَيْتَه هَرْوَلَةً "؛ وقد عَبَّرَ ابن رجب في شرحه للحديث عَنْ هَذا بقوله: لما كان الموت بهذه الشدَّة، والله تعالى قد حتَّمه على عباده كلهم، ولابدَّ لهم منه، وهو تعالى يكرهُ أذى المؤمن ومساءته، سمَّى ذلك ترددًا في حق المؤمن. اهـ [انظر (جامع العلوم) حديث رقم (٣٨) (٣٧٥/١)، وشرح السنة للبغوي (ج ٢ / ص ٣٨٠)، وعمدة القاري شرح صحيح البخاري (ج ٣٣ / ص ٢٨٨)].

خامسًا: ما يُستفاد من الحديث:

فائدة: في ثبوت الولاية ومعناها:

أما عن ثبوتها فهي ثابتة بلفظ الحديث، ومن قبل ذلك في كتاب الله، وأما عن معناها فقال شيخ الإسلام في الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان (٥/١): والولاية: ضد العداوة، وأصل الولاية: المحبة والقرب، وأصل العداوة: البغض والبعد، وقد قيل: إن الولي سمي وليًا من موالاته للطاعات أي متابعته لها والأول أصح. اهـ

ولله ولاية عامة كما في قوله: (ثُمَّ رُدُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ مَوْلَىٰهُمُ ٱلْحَقِّ) [الأنعام-٦٢]، وهي في جميع الخلق مؤمنهم وكافرهم.

وولاية خاصة: وهي لأهل الحق والإيمان (ٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ) [البقرة-٢٥٧]، وتطلق على المعان والمعين، فقد ذكر أبو الهلال العسكري في الفروق اللغوية (٥٧٧/١) في معنى الولي فقال: أن الولي يجري في الصفة على المعان والمعين، تقول: الله ولي المؤمنين أي معينهم، والمؤمن ولي الله أي المعان بنصر الله عز وجل، ويقال أيضًا: المؤمن ولي الله والمراد أنه ناصر لأوليائه ودينه، ويجوز أن يقال: الله ولي المؤمنين بمعنى أنه يلي حفظهم. اهـ.

من هم أولياء الله؟

يقول الشوكاني رحمه الله في (تحفة الذاكرين): " المعيار الذي تُعرف به صحة الولاية، هو أن يكون عاملاً بكتاب الله سبحانه وبسنة رسوله- صلى الله عليه وسلم - مؤثراً لهما على كل شيء، مقدماً لهما في إصداره وإيراده، وفي كل شؤونه، فإذا زاغ عنهما زاغت عنه ولايته"، وبذلك نعلم أن طريق الولاية الشرعي ليس سوى محبة الله وطاعته واتباع رسوله - صلى الله عليه وسلم -، وأن كل من ادعى ولاية الله ومحبته بغير هذا الطريق، فهو كاذب في دعواه.(انتهى بتصرف) .

فائدة: الفرائض أحب إلى الله وأعظم أجرًا عنده من النوافل :

قال الشيخ ابن عثيمين رحمه الله في تعليقاته على الأربعين النووية (٧٧/١) في تعليقه على قوله: وما تقرب إليَ عبدي بمثل أداء ما افترضته عليه قال: يعني: ما عبدني أحد بشيء أحب إليَ مما افترضته عليه. اهـ

وقال ابن دقيق العيد في شرح الأربعين النووية (١٠٠/١): فيه إشارة إلى أنه لا تقدم نافلة على فريضة، وإنما سميت النافلة نافلة إذا قضيت الفريضة وإلا فلا يتناولها اسم النافلة؛ لأن التقرب بالنوافل يكون بتلو أداء الفرائض. اهـ

وقال ابن حجر في الفتح: قال بعض الأكابر: من شغله الفرض عن النفل فهو معذور، ومن شغله النفل عن الفرض فهو مغرور. اهـ

فائدة:

استشكل كيف يكون الباري جل وعلا سمع العبد وبصره.. إلخ؟

الجواب: قال الحافظ في الفتح نقلا عن الإمام الطوفي: اتفق العلماء ممن يعتد بقوله أن هذا مجاز وكناية عن نصرة العبد. (انظر: فتح الباري (١/٤٠١).

وقال ابن رجب رحمه الله في (جامع العلوم والحكم ج٢/ص٥٨٠): (فمعنى الحديث: أن العبد إذا أخلص الطاعة صارت أفعاله كلها لله عز وجل؛ فلا يسمع إلا لله، ولا يبصر إلا لله؛ أي: ما شرعه الله له، ولا يبطش ولا يمشي إلا في طاعة الله عز وجل، مستعينا بالله في ذلك كله.

قال شيخ الإسلام في (مجموع الفتاوى ج٢/ص٣٤١): (وهذا الحديث يحتج به أهل الوحدة، وهو حجة عليهم من وجوه كثيرة: منها: أنه قال: "من عادى لي وليًا فقد بارزني بالمحاربة" فأثبت نفسه ووليه ومعادي وليه؛ وهؤلاء ثلاثة، ثم قال: "وما تقرب إلى عبدي بمثل أداء ما افترضت عليه، ولا يزال عبدي يتقرب إلى بالنوافل حتى أحبه" فأثبت عبدا يتقرب إليه بالفرائض ثم بالنوافل). انتهى.

وقال العطار في (حاشيته على جمع الجوامع ج٢/ص٥١٧): (والمراد: أن الله تعالى يتولى محبوبه في جميع أحواله، فحركاته وسكناته به تعالى). انتهى.

قال العلامة الحكمي في (معارج القبول ج١/ص٢٠٦) نقلاً عن الإمام ابن رجب في (جامع العلوم والحكم): (وليس معنى ذلك أن يكون جوارح للعبد؛ تعالى الله عن ذلك علواً كبيرًا، وإنما المراد: أن من اجتهد بالتقرب إلى الله عز وجل بالفرائض ثم بالنوافل قرَّبه إليه؛ ورقَّاه من درجة الإيمان إلى درجة الإحسان؛ فيصير يعبد الله على الحضور والمراقبة كأنه يراه، فيمتلئ قلبه بمعرفة الله تعالى ومحبته وعظمته وخوفه ومهابته وإجلاله والأنس به والشوق إليه؛ حتى يصير هذا الذي في قلبه من المعرفة مشاهداً له بعين البصيرة؛ فحينئذ لا ينطق العبد إلا بذكره، ولا يتحرك إلا بأمره؛ فإن نطقَ نطق بالله، وإن سمعَ سمع به، وإن نظر نظرَ به، وإن بطش بطش به). انتهى.

قلت: وكلها معان جائزة أن تُفهم من الحديث، وكلها والحمد لله بعيدة عما قال الحلولية.

فائدة: في معنى التردد الوارد في الحديث:

قوله (وما ترددت عن شيء أنا فاعله ترددي عن نفس المؤمن يكره الموت وأنا أكره مساءته): قال الحافظ في الفتح (١١/٣٤٥): قال الخطابي التردد في حق الله غير جائز والبداء (أي: ظهور رأي لم يكن ظاهرًا قبل ذلك) عليه في الأمور غير سائغ، ولكن له أوجه:

- أحدهما: أن العبد قد يشرف على الهلاك في أيام عمره من داء يصيبه وفاقه تنزل به فيدعو الله فيشفيه منها، ويدفع عنه مكروهها فيكون ذلك من فعله كتردد من يريد أمرًا ثم يبدو له فيه فيتركه ويعرض عنه.

- وقال الكلاباذي ما حاصله أنه عبر عن صفة الفعل بصفة الذات أي عن الترديد بالتردد وجعل متعلق الترديد اختلاف أحوال العبد من ضعف ونصب إلى أن تنتقل محبته في الحياة إلى محبته للموت فيقبض على ذلك، قال: وقد يحدث الله في قلب عبده من الرغبة فيما عنده والشوق إليه والمحبة للقائه ما يشتاق معه إلى الموت فضلاً عن إزالة الكراهة عنه، فأخبر أنه يكره الموت ويسوؤه ويكره الله مساءته فيزيل عنه كراهية الموت لما يورده عليه من الأحوال، فيأتيه الموت وهو له مؤثر وإليه مشتاق.

- ثالثا: وهو احتمال أن يكون معنى التردد اللطف به كأن الملك يؤخر القبض، فإنه إذا نظر إلى قدر المؤمن وعظم المنفعة به لأهل الدنيا احترمه فلم يبسط يده إليه، فإذا ذكر أمر ربه لم يجد بدًا من امتثاله.

- رابعا: وهو أن يكون هذا خطابًا لنا بما نعقل والرب منزه عن حقيقته، بل هو من جنس قوله: (ومن أتاني يمشي أتيته هرولة) فكما أن أحدنا يريد أن يضرب ولده تأديبًا فتمنعه المحبة وتبعثه الشفقة فيتردد بينهما ولو كان غير الوالد كالمعلم لم يتردد بل كان يبادر إلى ضربه لتأديبه، فأريد تفهيمنا تحقيق المحبة للولي بذكر التردد، وجوَّز الكرماني احتمالاً آخر وهو أن المراد أنه يقبض روح المؤمن بالتأني والتدريج بخلاف سائر الأمور فإنها تحصل بمجرد قول كن سريعًا.

- ويحتمل أن تكون المساءة بالنسبة إلى طول الحياة لأنها تؤدي إلى أرذل العمر وتنكس الخلق والرد إلى أسفل سافلين.

وفي الختام: أوصي نفسي وإخواني بتقوى الله فهي وصية الله للأولين والآخرين، وهي طريق موالاة العبد لربه ومولاه، قال تعالى: « وَلَقَدْ وَصَّيْنَا ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنِ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ »[النساء: ١٣١]، والحمد لله رب العالمين.

القسم الثاني

درر البحار في تحقيق ضعيف الأحاديث القصار

الحلقة ٢٤

إعداد / **علي حشيش**

٢٤٠- «ليلة أُسرِيَ بي إلى السماء سقط إلى الأرض من عرقي فنبتت منه الورد، فمن أحبَّ أن يَشَمَ رائحتي فليشم الورد».

الحديث لا يصح: أخرجه ابن عدي في «الكامل» (٣٤٢/٢) من حديث موسى بن جعفر عن أبيه جعفر، عن أبيه محمد بن علي، عن أبيه علي بن الحسين عن أبيه الحسين بن علي، عن أبيه علي بن أبي طالب رضي الله عنه مرفوعًا، قال ابن عدي: هذا حديث موضوع على أهل البيت.

قلت: وآفته الحسن بن علي بن صالح أبو سعيد العدوي البصري، قال ابن عدي: يضع الحديث ويسرق الحديث ويلزقه على قوم آخرين، ويحدث عن قوم لا يُعرفون، وهو متَّهم فيهم.

٢٤١- «نحن وَلَدَ عبدِ المطلب، سادة أهلِ الجنة، أنا، وحمزةُ، وعليَ، وجعفرُ، والحسنُ، والحسينُ، والمهديَ».

الحديث لا يصح: أخرجه ابن ماجة في «السنن» (ح٤٠٨٧)، والحاكم في «المستدرك» (٢١١/٣)، وقال: «هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه»، قلت: وهذه من أوهامه- عفا الله عنا وعنه، حيث عقب عليه الحافظ الذهبي في «التلخيص» بقوله: «ذا موضوع». ونقله عنه الألباني في «الضعيفة» (ح٤٦٨٨)، وأقره.

٢٤٢- «الرزقُ مقسومٌ، وهو آتِ ابن آدم على أيِّ سيرة سارها، ليس تقوى تقي بزائدته، ولا فجور فاجر بناقصه، وبينه وبينه ستر وهو طالبه».

الحديث لا يصح: أخرجه ابن حبان في «المجروحين» (١٣٣/٣) من حديث ابن مسعود مرفوعًا، وآفته يوسف بن السفر كان ممن يروي عن الأوزاعي ما ليس من أحاديثه من المناكير التي لا يشك عوام أصحاب الحديث أنها موضوعة.

٢٤٣- «مَن طلب العلم كان كفارة لما مضى».

الحديث لا يصح: أخرجه الترمذي في «السنن» (٢٩/٥) (ح٢٦٤٨) من حديث عبد الله بن سخبرة عن سخبرة مرفوعًا، وآفته أبو داود نفيع بن الحارث الأعمى القاضي الهمداني، قال النسائي في «الضعفاء والمتروكين» (٥٩٢): «نفيع أبو داود: متروك الحديث». قلت: وهذا المصطلح بيّنه الحافظ ابن حجر في «شرح النخبة» (ص٧٣)، قال: «مذهب النسائي ألا يترك حديث الرجل حتى يجتمع الجميع على تركه». اهـ.

٢٤٤- «اتقوا ذَوِي العاهات».

الحديث لا يصح: أورده السخاوي في «المقاصد» (ح٢١) وقال: «لم أقف عليه».

٢٤٥- «ضع القلم على أُذنك فإنه أَذْكَرُ للمُملي».

الحديث لا يصح: أخرجه الترمذي في «السنن» (٦٤/٥) (ح٢٧١٤) من حديث زيد بن ثابت، قال: دخلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم وبين يديه كاتب فسمعته يقول: «ضع القلم...» الحديث. قال الترمذي: هذا حديث غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه. اهـ.

وأخرجه الحافظ ابن حبان في «المجروحين» (١٨٠/٢) من هذا الوجه، وجعله من مناكير عنبسة بن عبد الرحمن، وقال: صاحب أشياء موضوعة وما لا أصل له، وقال البخاري في «الضعفاء الصغير» (٢٨٧): «تركوه»، وعلة أخرى تزيد الحديث وهنًا على وهن: محمد بن زاذان قال البخاري في «الضعفاء الصغير» (٣١٩): «هو

منكر الحديث لا يُكتب حديثه». اهـ.

٢٤٦- «إذا جاءت الموت لطالب العلم وهو على هذه الحال، مات وهو شهيد».

الحديث لا يصح: أخرجه البزار (١٣٨- زوائد)، والخطيب في «التاريخ» (٢٤٧/٩) من حديث هلال بن عبد الرحمن الحنفي عن عطاء بن أبي ميمونة عن أبي ميمونة عن أبي سلمة عن أبي هريرة وأبي ذر قالا: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم... فذكره، وقال البزار: «لا نعلمه رواه عن النبي صلى الله عليه وسلم إلا أبو هريرة وأبو ذر بهذا الإسناد.

قلت: هذا حديث عزيز غريب، والحديث منكر، وعلته هلال بن عبد الرحمن الحنفي، قال الإمام العقيلي في «الضعفاء الكبير» (١٩٥٦/٣٥٠/٤): «منكر الحديث»، ثم علق له العقيلي ثلاثة مناكير هذا الحديث ثالثها، ثم قال: «كل هذا مناكير لا أصول لها ولا يُتابع عليها».

وقال الحافظ الذهبي في «الميزان» (٩٢٧٣/٣١٥/٤): «الضعف بيِّن على أحاديثه فليترك». اهـ.

٢٤٧- «من صلى عليَّ مرة، لم يبق من ذنوبه ذرةٌ».

الحديث لا يصح: أورده الصغاني في «الموضوعات» (ح٤٦)، وقال: هذا من الأحاديث التي وضعت على رسول الله صلى الله عليه وسلم، وافتُريت عليه، وأورده العجلوني في «كشف الخفاء» (ح٢٥١٦)، وقال: «موضوع كما قال الصاغاني». اهـ.

تنبيه: الصحيح الثابت ما أخرجه مسلم في «صحيحه» (ح٤٠٨) من حديث أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «مَن صلى عليَّ واحدة، صلى الله عليه عشرًا».

وأحمد في «مسنده» (٣٧٢/٢) (ح٨٨٤١)، (ح١٠٢٩٢)، وأبو داود (١٥٣٠)، والترمذي (٤٨٥)، والنسائي (١٢٩٥).

٢٤٨- «مَن تمسك بسنتي عند فساد أمتي فله أجر مائة شهيدٍ».

الحديث لا يصح: أخرجه الحسن بن قتيبة المدائني يكنى أبا علي، قال الحافظ الذهبي في «الميزان» (١٩٣٣/٥١٨/١): «هالك، قال الدارقطني في زوائد البرقاني: متروك الحديث، وقال الأزدي: واهي الحديث، وقال العقيلي: كثير الوهم، وقال الذهبي في «الميزان» (٤٧٩٣/٥٤٣/٢)، عبد الخالق بن المنذر شيخ الحسن بن قتيبة: لا يُعرف».

٢٤٩- «دخل إبليسُ العراقَ فقضى بها حاجتهُ، ثم جاءَ الشامَ فَطُرِدَ حتى بَلَغَ بِساقَ، ثم دخلَ مصرَ فَبَاضَ فيها وفرَّخَ وبسط عَبقريه».

الحديث لا يصح: أخرجه الطبراني في «الكبير» (٣٤٠/١٢) (ح١٣٢٩٠)، وابن الجوزي في «الموضوعات» (٥٨/٢) من حديث ابن عمر مرفوعًا، وقال: هذا حديث لا يصح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، وذكر أسباب عدم صحته، ولقد بيَّن المعلمي اليماني في «تحقيق الفوائد» (ص٤٣٣) علة هذا الحديث فقال: «الحديث منقطع لأنه من رواية يعقوب بن عتبة بن المغيرة بن الأخنس عن ابن عمر، ويعقوب لم يدرك ابن عمر».

٢٥٠- «ليس من خلق الله أكثر من الملائكة ما من شيء ينبتُ إلا وملك موكل به».

الحديث لا يصح: أخرجه أبو الشيخ في «العظمة» (ح٣٢٩) من حديث ابن عباس مرفوعًا، وفي إسناده عبد الغفار بن الحسن أبو حازم أورده الحافظ الذهبي في «الميزان» (٥١٤٥/٦٣٩/٢)، وذكر أقوال أئمة الجرح والتعديل فيه: «قال الجوزجاني: لا يُغتر به، وقال الأزدي كذاب». قلت: والحديث من رواية عبد الغفار عن إسرائيل عن أبي يحيى القتات عن مجاهد عن ابن عباس مرفوعًا، وإسرائيل ضعيف في روايته عن أبي يحيى كما نقل الذهبي في «الميزان» (١٠٧٢٩/٥٨٦/٤) عن الإمام أحمد بن حنبل قال: «روى إسرائيل عن أبي يحيى القتات أحاديث مناكير جدًا كثيرة». اهـ.

وقفات وعبر في الصلاة على خير البشر

إعداد **صلاح عبد الخالق**

الحمد لله وكفى والصلاة والسلام على النبي المصطفى وبعد:

فعبودية لربنا، ومحبة في نبينا صلى الله عليه وسلم، نقف مع حضراتكم هذه الوقفات حول الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم:

أولا: حكم الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم:

- قال تعالى: (إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيۡهِ وَسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا) [الأحزاب: ٥٦].

- اتفق العلماء على وجوب الصلاة على النبي صلَى الله عليه وسلَم، ثم اختلفوا فقيل تجب في العمر مرة وهو الأكثر، وقيل: تجب في كل صلاة في التشهد الأخير وهو مذهب الشافعي وإحدى الروايتين عن أحمد وقيل: تجب كلما ذكر واختاره الطحاوي من الحنفية والحليمي من الشافعية. [تفسير الخازن (٣/٤٣٥)].

> اتفق العلماء على وجوب الصلاة على النبي صلّى الله عليه وسلّم، ثم اختلفوا فقيل تجب في العمر مرة وهو الأكثر، وقيل: تجب في كل صلاة في التشهد الأخير.

ثانيا: ما الحكمة من الصلاة على النبي؟

أ- حكمةُ صلاة الملائكة والمؤمنين على النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تشريفُهم بذلك؛ حيث اقتدوا بالله جل وعلا في الصلاة عليه وتعظيمه، ومكافأةٌ لبعض حقوقه على الخلق؛ لأنه الواسطة العظمى في كل نعمة وصلت لهم، وحقٌ على مَن وصل له نعمة من شخص أن يكافئه، ولما كان الخلق عاجزين عن مكافأته صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم طلبوا من القادر الملك أن يكافئه. (صفوة التفاسير: ٢/٤٩٣).

ب- لَيْسَتْ صَلاتُنَا عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ شَفَاعَةً لَهُ؛ فَإِنَّ مِثْلَنَا لا يَشْفَعُ لِمِثْلِهِ وَلَكِنَّ اللَّه أَمَرَنَا بِمُكَافَأَةِ مَنْ أَحْسَنَ إِلَيْنَا فَإِنْ عَجَزْنَا عَنْهَا كَافَأْنَاهُ بِالدُّعَاءِ، فَأَرْشَدَنَا اللَّه لَمَّا عَلِمَ عَجْزَنَا عَنْ مُكَافَأَةِ نَبِيِّنَا إِلَى الصَّلَاةِ عَلَيْهِ. فتح الباري (١١/١٦٨).

ثانيا: من فضائل الصلاة على النبي:

أولاً: في الدنيا ويكفي منها على سبيل المثال:

١: الصلاة من الله عز وجل:-

أ- عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، أَنَّ رَسُولَ اللَّه صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «مَنْ صَلَّى عَلَيَّ وَاحِدَةً صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ عَشْرًا» صحيح مسلم (٤٠٨).

- قَالَ أَبُو العَالِيَةِ: " صَلاَةُ اللَّهِ: ثَنَاؤُهُ عَلَيْهِ عِنْدَ المَلاَئِكَةِ.صحيح البخاري كتاب التفسير(٦/١٢٠).

- قَالَ الْقَاضِي:- مَعْنَاهُ رَحْمَتُهُ وَتَضْعِيفُ أَجْرِه كَقَوْلِه تَعَالَى (مَنْ جاء بالحسنة فله عشر أمثالها) قَالَ: وَقَدْ يَكُونُ الصَّلَاةُ عَلَى وَجْهِهَا وَظَاهِرِهَا تَشْرِيفًا لَهُ بَيْنَ الْمَلَائِكَة كَمَا في الْحَدِيث (وَإِنْ ذَكَرَنِي في مَلَأٍ ذَكَرْتُهُ في مَلَأٍ خَيْرٍ مِنْهُمْ). شرح النووي (١٢٨/٤).

ب- عَنْ أَبِي بُرْدَةَ بْنِ نِيَارٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ صَلَّى عَلَيَّ مِنْ أُمَّتِي صَلَاةً مُخْلِصًا مِنْ قَلْبِه، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ بِهَا عَشْرَ صَلَوَاتٍ وَرَفَعَهُ بِهَا عَشْرَ دَرَجَاتٍ، وَكَتَبَ لَهُ بِهَا عَشْرَ حَسَنَاتٍ، وَمَحَا عَنْهُ عَشْرَ سَيِّئَاتٍ» صحيح الترغيب (١٦٥٩).

- في هذا الحديث أربع فوائد للصلاة على النبي صَلَّى الله عَلَيْه وَسَلَّمَ مرة واحدة مخلصا لوجه الله تعالى:

١ - الملك جل في علاه يذكرك باسمك بخير عشر مرات أمام الملائكة.

٢- يرتفع رصيدك في الجنة عشر درجات؛ لأن الجنة درجات بعضها فوق بعض.

٣- يُكتب ويُزاد لك عشر حسنات.

٤- يُمحى من سيئاتك عشر سيئات.

٢- الصلاة من الملائكة:

- عن عَامِرِ بْنِ رَبِيعَةَ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَخْطُبُ يَقُولُ: «مَنْ صَلَّى عَلَيَّ صَلَاةً لَمْ تَزَلِ الْمَلَائِكَةُ تُصَلِّي عَلَيْهِ مَا صَلَّى عَلَيَّ، فَلْيُقِلَّ عَبْدٌ مِنْ ذَلِكَ أَوْ لِيُكْثِرْ» مسند أحمد (١٥٦٨٠) صحيح ابن ماجه (٧٣٩).

يُخبر تعالى عن كمال لطفه تعالى بعباده المؤمنين، وما قيض لأسباب سعادتهم من الأسباب الخارجة عن قدرهم، من استغفار الملائكة المقربين لهم، ودعائهم لهم بما فيه صلاح دينهم وآخرتهم. السعدي (٧٢٢/١).

حكمةُ صلاة الملائكة والمؤمنين على النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تشريفُهم بذلك؛ حيث اقتدوا بالله جل وعلا في الصلاة عليه وتعظيمه، ومكافأةٌ لبعض حقوقه على الخلق؛ لأنه الواسطة العظمى في كل نعمةٍ وصلت لهم.

- فضائل أخرى لصلاة الله تعالى وملائكته:

قال تعالى: (هُوَ الَّذِي يُصَلِّي عَلَيْكُمْ وَمَلَائِكَتُهُ لِيُخْرِجَكُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا) [الأحزاب: ٤٣].

هَذِه نِعْمَةٌ مِنَ اللَّه تَعَالَى عَلَى هَذِه الْأُمَّةِ مِنْ أَكْبَرِ النِّعَمِ وَدَلِيلٌ عَلَى فَضْلِهَا عَلَى سَائِرِ الْأُمَمِ. القرطبي (١٩٨/١٤).

- هو الذي يصلي عليكم، وتصلي عليكم ملائكته، والصلاة من الله رحمة بنا، ومن الملائكة استغفار لنا، كل ذلك ليخرجكم من ظلمات النفس الأمارة بالسوء. ومن ظلمات الدنيا الغرور، ومن ظلمات وسوسة الشيطان.

بما يهديكم ويرشدكم ويُثني عليكم ويوفقكم إلى طرق النور والعلم والإسلام والخير. [التفسير الواضح (١٠١/٣)].

٣- إجابة الدعاء:

عَنْ فَضَالَةَ بْنِ عُبَيْدٍ، قَالَ: بَيْنَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَاعِدٌ إِذْ دَخَلَ رَجُلٌ فَصَلَّى فَقَالَ: اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي وَارْحَمْنِي، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: عَجِلْتَ أَيُّهَا الْمُصَلِّي، إِذَا صَلَّيْتَ فَقَعَدْتَ فَاحْمَدِ اللَّهَ بِمَا هُوَ أَهْلُهُ، وَصَلِّ عَلَيَّ ثُمَّ ادْعُهُ. قَالَ: ثُمَّ صَلَّى رَجُلٌ آخَرُ بَعْدَ ذَلِكَ فَحَمِدَ اللَّهَ وَصَلَّى عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أَيُّهَا الْمُصَلِّي ادْعُ تُجَبْ. صحيح الترمذي (٣٤٧٦).

- عن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رَسُول اللَّه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: كل دعاء محجوب حتى يصلى على النبي صلى الله عليه وسلم. صحيح الجامع (٤٥٢٣).

- (كل دعاء محجوب) عن القبول (حتى يُصلى) أي يصلي الداعي. (على النبي صلى الله عليه وسلم) في دعائه فإن الصلاة عليه سبب القبول

والإجابة، وذلك أنه تعالى لا يرد الداعي بالصلاة على رسوله خائباً. التنوير شرح الجامع الصغير (١٧٤/٨).

٤- حل مشاكلك الكثيرة:

قَالَ أُبَيٌّ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّه إنِّي أُكْثِرُ الصَّلَاةَ عَلَيْكَ فَكَمْ أَجْعَلُ لَكَ مِنْ صَلَاتِي؟ فَقَالَ: «مَا شِئْتَ». قَالَ: قُلْتُ: الرُّبُعَ، قَالَ: «مَا شِئْتَ فَإِنْ زِدْتَ فَهُوَ خَيْرٌ لَكَ» قُلْتُ: النِّصْفَ قَالَ «مَا شِئْتَ، فَإِنْ زِدْتَ فَهُوَ خَيْرٌ لَكَ»، قَالَ: قُلْتُ: فَالثُّلُثَيْنِ، قَالَ: «مَا شِئْتَ، فَإِنْ زِدْتَ فَهُوَ خَيْرٌ لَكَ» قُلْتُ: أَجْعَلُ لَكَ صَلَاتِي كُلَّهَا قَالَ: «إِذًا تُكْفَى هَمَّكَ وَيُغْفَرُ لَكَ ذَنْبُكَ» سنن الترمذي (٢٤٥٧) وحسنه الألباني.

-ن الإنسان إذا صلى على النبي صلى الله عليه وسلم يكشف الله عنه الهم، ويغفر له ذنبه، فإذا كان جل أو كل دعائه صلاة على النبي صلى الله عليه وسلم كفاه الله عز وجل ما أهمه وغفر له ذنبه. [تفسير حطيبة (٥/ ٢٨٩)].

ثانيًا: من فضائل الصلاة على النبي في الآخرة:

١- الرحمة من الله تعالى:

قال تعالى: (هُوَ الَّذِي يُصَلِّي عَلَيْكُمْ وَمَلَائِكَتُهُ لِيُخْرِجَكُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا) «وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا» أَيْ: وَأَمَّا رَحْمَتُهُ بِهِمْ فِي الْآخِرَةِ: فَآمَنَهُمْ مِنَ الْفَزَعِ الْأَكْبَرِ، وَأَمَرَ مَلَائِكَتَهُ يَتَلَقَّوْنَهُمْ بِالْبِشَارَةِ بِالْفَوْزِ بِالْجَنَّةِ وَالنَّجَاةِ مِنَ النَّارِ، وَمَا ذَاكَ إِلَّا لِمَحَبَّتِهِ لَهُمْ وَرَأْفَتِهِ بِهِمْ. [تفسير ابن كثير (٤٣٦/٦)].

٢- شفاعة المصطفى صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

أ- عَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّه صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (مَنْ صَلَّى عَلَيَّ حِينَ يُصْبِحُ عَشْرًا وَحِينَ يُمْسِي عَشْرًا أَدْرَكَتْهُ شَفَاعَتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ) صحيح الجامع (٦٣٥٧).

ب- عَنْ عَبْدِ اللَّه بْنِ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ، أَنَّهُ سَمِعَ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «إِذَا سَمِعْتُمُ الْمُؤَذِّنَ، فَقُولُوا مِثْلَ مَا يَقُولُ ثُمَّ صَلُّوا عَلَيَّ، فَإِنَّهُ مَنْ صَلَّى عَلَيَّ صَلَاةً صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ بِهَا عَشْرًا، ثُمَّ سَلُوا اللَّه لِيَ الْوَسِيلَةَ، فَإِنَّهَا مَنْزِلَةٌ فِي الْجَنَّةِ لَا تَنْبَغِي إِلَّا لِعَبْدٍ مِنْ عِبَادِ اللَّه، وَأَرْجُو أَنْ أَكُونَ أَنَا هُوَ فَمَنْ سَأَلَ لِيَ الْوَسِيلَةَ حَلَّتْ لَهُ الشَّفَاعَةُ. مسلم (٣٨٤) والترمذي (٥٢٣).

حَلَّتْ لَهُ الشَّفَاعَةُ أي: وجبت وقيل نالته. شرح النووي (٨٧/٣).

الشفاعة هي التوسط للغير بجلب المنفعة أو دفع مضرة. تفسير أحمد فصل الخطاب في الزهد (٣٠٦/٢).

- «والشفاعة الانضمام إلى آخر ناصراً له وسائلاً عنه، وأكثرُ ما يستعمل في انضمام من هو أعلى حرمة ومرتبة إلى من هو أدنى، ومنه الشفاعة في القيامة» المفردات في غريب القرآن للأصفهاني ص(٢٦٣).

الصَّلَاةُ مِنَ اللَّه رَحْمَةٌ وَلَا شَكَّ أَنَّ هَذَا تَحِيَّةٌ، فَلَمَّا طَلَبْنَا مِنَ اللَّه الرَّحْمَةَ لِمُحَمَّدٍ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ وَجَبَ بِمُقْتَضَى قَوْلِهِ: (فَحَيُّوا بِأَحْسَنَ مِنْهَا أَوْ رُدُّوهَا)، أَنْ يَفْعَلَ مُحَمَّدٌ مِثْلَهُ وَهُوَ أَنْ يَطْلُبَ لِكُلِّ الْمُسْلِمِينَ الرَّحْمَةَ مِنَ اللَّه تَعَالَى، وَهَذَا هُوَ مَعْنَى الشَّفَاعَةِ، ثُمَّ تَوَافَقْنَا عَلَى أَنَّهُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ غَيْرُ مَرْدُودِ الدُّعَاءِ، فَوَجَبَ أَنْ يَقْبَلَ اللَّه شَفَاعَتَهُ فِي الْكُلِّ وَهُوَ الْمَطْلُوبُ. مفاتيح الغيب (٥٠٠/٣).

٣- غفران الذنوب:

قَالَ أُبَيٌّ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّه إِنِّي أُكْثِرُ الصَّلَاةَ عَلَيْكَ فَكَمْ أَجْعَلُ لَكَ مِنْ صَلَاتِي؟ فَقَالَ: «مَا شِئْتَ قُلْتُ: أَجْعَلُ لَكَ صَلَاتِي كُلَّهَا قَالَ: «إِذًا تُكْفَى هَمَّكَ، وَيُغْفَرُ لَكَ ذَنْبُكَ» الترمذي (٢٤٥٧).

- التحذير من ترك الصلاة على النبي:

١- عَنْ عَلِيِّ بْنِ حُسَيْنٍ، عَنْ أَبِيهِ: أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «الْبَخِيلُ مَنْ ذُكِرْتُ عِنْدَهُ، ثُمَّ لَمْ يُصَلِّ عَلَيَّ» مسند أحمد (١٧٣٦) وانظر

> حقٌّ على مَن وصل له نعمة من شخص أن يكافئه، ولما كـان الخلق عاجزين عن مكافأته صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّم طلبوا من القادر الملك أن يكافئه.

صحيح الجامع (٢٨٧٨).

البخيل أي: كامل البخل؛ لأنه بامتناعه من الصلاة عليه قد شح وامتنع من أداء حق يتعين عليه أداؤه امتثالاً للأمر ولما فيه من مكافأة جزئية لمن كان سبباً في سعادته الأبدية، بل في الحقيقة إنما شح وبخل عن نفسه، ومنعها أن يصل إليها عطاء عظيم ممن يعطي بلا حساب ولا تنقص خزائنه بالعطاء، فبهذا الشح تفوته تلك الكنوز التي لولاه لكان يكتالها بالمكيال الأوفى من غير أدنى مشقة، فلا أبخل من هذا. [دليل الفالحين (١٩٦/٧)].

٢- عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ صَعِدَ الْمِنْبَرَ، فَقَالَ: «آمِينَ آمِينَ آمِينَ» قِيلَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّكَ حِينَ صَعِدْتَ الْمِنْبَرَ قُلْتَ: آمِينَ آمِينَ آمِينَ، قَالَ: «إِنَّ جِبْرِيلَ أَتَانِي، فَقَالَ:... وَمَنْ ذُكِرْتَ عِنْدَهُ فَلَمْ يُصَلِّ عَلَيْكَ فَمَاتَ فَدَخَلَ النَّارَ فَأَبْعَدَهُ اللَّهُ، قُلْ: آمِينَ، فَقُلْتُ: آمِينَ» (صحيح ابن حبان (٩٠٧) وقال الألباني: حسن صحيح).

إن الإنسان الذي كان يُذكر أمامه النبي صلى الله عليه وسلم ولا يُصلي عليه إذا كان حظه أنه دخل النار بسبب ذنوبه، فأبعده الله، فلا هو الذي في الدنيا عمل صالحاً يُدخله الجنة، ولا هو الذي أكثر من الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم؛ فتنفعه شفاعته إذا دخل النار أن يُخرجه الله من النار إلى الجنة. [تفسير أحمد حطيبة (٧/ ٢٨٩)].

أفضل هيئات الصلاة على النبي صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

- هذه الصلاة تؤدى بأية صيغة كانت، وأفضلها كما قال كثير من العلماء هي الصلاة الإبراهمية التي تقال بعد التشهد الأخير في الصلاة. [فتاوى دار الإفتاء المصرية (٨/٢٠٥)].

> لَيْسَتْ صَلَاتُنَا عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ شَفَاعَةً لَهُ؛ فَإِنَّ مِثْلَنَا لَا يَشْفَعُ لِمِثْلِه وَلَكِنَّ اللَّهَ أَمَرَنَا بِمُكَافَأَةِ مَنْ أَحْسَنَ إِلَيْنَا فَإِنْ عَجَزْنَا عَنْهَا كَافَأْنَاهُ بِالدُّعَاءِ.

- عن ابْنِ أَبِي لَيْلَى، قَالَ: لَقِيَنِي كَعْبُ بْنُ عُجْرَةَ، فَقَالَ: أَلا أُهْدِي لَكَ هَدِيَّةً خَرَجَ عَلَيْنَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقُلْنَا: قَدْ عَرَفْنَا كَيْفَ نُسَلِّمُ عَلَيْكَ فَكَيْفَ نُصَلِّي عَلَيْكَ؟ قَالَ: «قُولُوا اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ، وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ، كَمَا صَلَّيْتَ عَلَى آلِ إِبْرَاهِيمَ، إِنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ اللَّهُمَّ بَارِكْ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ، كَمَا بَارَكْتَ عَلَى آلِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ» [صحيح البخاري (٣٣٧٠) وصحيح مسلم (٤٠٦)].

مَعْنَى قَوْلِنَا اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ تَعْظِيمُهُ: عَظِّمْ مُحَمَّدًا الْمُرَادُ تَعْظِيمُهُ فِي الدُّنْيَا بِإِعْلَاءِ ذِكْرِهِ وَإِظْهَارِ دِينِهِ وَإِبْقَاءِ شَرِيعَتِهِ وَفِي الْآخِرَةِ بِإِجْزَالِ مَثُوبَتِهِ وَتَشْفِيعِهِ فِي أُمَّتِهِ وَإِبْدَاءِ فَضِيلَتِهِ بِالْمَقَامِ الْمَحْمُودِ. فتح الباري (١١/ ١٥٦).

من المواطن التي نصلي فيها على النبي صلى الله عليه وسلم:

- وَمِمَّا يَتَأَكَّدُ وَوَرَدَتْ فِيهِ أَخْبَارٌ خَاصَّةٌ أَكْثَرُهَا بِأَسَانِيدَ جَيِّدَةٍ:

١- عَقِبَ إِجَابَةِ الْمُؤَذِّنِ.
٢- وَأَوَّلَ الدُّعَاءِ وَأَوْسَطَهُ وَآخِرَهُ وَفِي أَوَّلِهِ آكَدُ وَفِي آخِرِ الْقُنُوتِ.
٣- وَفِي أَثْنَاءِ تَكْبِيرَاتِ الْعِيدِ.
٤- وَعِنْدَ دُخُولِ الْمَسْجِدِ وَالْخُرُوجِ مِنْهُ.
٥- وَعِنْدَ الِاجْتِمَاعِ وَالتَّفَرُّقِ،
٦- وَعِنْدَ السَّفَرِ وَالْقُدُومِ.
٧- وَعِنْدَ الْقِيَامِ لِصَلَاةِ اللَّيْلِ.
٨- وَعِنْدَ خَتْمِ الْقُرْآنِ.
٩- وَعِنْدَ الْهَمِّ وَالْكَرْبِ
١٠- وَعِنْدَ التَّوْبَةِ مِنَ الذَّنْبِ.
١١- وَعِنْدَ قِرَاءَةِ الْحَدِيثِ وَتَبْلِيغِ الْعِلْمِ وَالذِّكْرِ.
١٢ وَعِنْدَ نِسْيَانِ الشَّيْءِ. [فتح الباري (١١/١٦٩)].

والحمد لله رب العالمين.

فرحة العيد

تكتمل بجمع شمل المسلمين

إعداد **عبده أحمد الأقرع**

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، وأصلي وأسلم على سيد ولد آدم، وعلى آله وأصحابه الغر الميامين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.. أما بعدُ:

فكم هو جميلٌ أن تظهر أعيادُ الأمة بمظهر الواعي لأحوالها وقضاياها، وقد قيل: من أراد أنْ يرى أخلاق أمة فليراقبها في أعيادها، إذ تنطلقُ فيه السجايا على فطرتها، وتبرز العواطف والميول والعاداتُ على حقيقتها، والمجتمع السعيدُ الصالحُ هو الذي تسمو أخلاقه في العيد إلى أرفع ذروة، وتمتدُّ فيه مشاعر الإخاء إلى أبعد مدى، حيث يبدو المجتمعُ في العيد متماسكًا متعاونًا متراحمًا، تخفق فيه القلوبُ بالحبِّ والودِّ والبرِّ والصفا؛ لأنَّ أخوة الإسلام في روح الإيمان القوي، ولباب المشاعر الفياضة، التي يبذلها المسلم لإخوانه في العقيدة، حتى إنه ليحيا بهم، يعيش معهم وفيهم، فكأنهم جميعًا أغصانٌ تفرعت من دوحة [الدَّوحة: الشجرة العظيمة المتسعة] زاهرة، لأن من المبادئ العظيمة التي أرسى دعائمها ديننا الحنيف مبدأ الأخوة بين أهل الإيمان، قال الله تعالى: « إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ » [الحجرات:١٠]، إخوة في ماذا؟ إخوة في الدِّين والحرمة، لا إخوة في النسب، وأخوة الدين والحرمة تبقى، أما أخوة النسب فتنقطع ولا تبقى، قال الله تعالى: « ٱلْأَخِلَّآءُ يَوْمَئِذٍۭ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا ٱلْمُتَّقِينَ » [الزخرف: ٦٧].

> **من أراد أنْ يرى أخلاق أمة فليراقبها في أعيادها، إذ تنطلقُ فيه السجايا على فطرتها، وتبرز العواطف والميول والعاداتُ على حقيقتها.**

وقد ذكَّر الله تعالى المؤمنين بأخوتهم لبعضهم البعض، فقال تعالى: « إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ » [الحجرات:١٠]، وقال تعالى: « وَٱعْتَصِمُوا۟ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا۟ وَٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا » [آل عمران:١٠٣]، وقال تعالى: « يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِصَاصُ فِى ٱلْقَتْلَى ٱلْحُرُّ بِٱلْحُرِّ وَٱلْعَبْدُ بِٱلْعَبْدِ وَٱلْأُنثَىٰ بِٱلْأُنثَىٰ فَمَنْ عُفِىَ لَهُۥ مِنْ أَخِيهِ شَىْءٌ فَٱتِّبَاعٌۢ بِٱلْمَعْرُوفِ وَأَدَآءٌ إِلَيْهِ بِإِحْسَٰنٍ » [البقرة:١٧٨]، وقال تعالى: « فَإِن تَابُوا۟ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ فَإِخْوَٰنُكُمْ فِى ٱلدِّينِ » [التوبة:١١]، وقال تعالى: « وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ » [الحجرات:١٢]، وقال تعالى: « وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ

رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَٰنِ» [الحشر:١٠]، وقال تعالى: «وَلَا تَلْمِزُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ» [الحجرات:١١]، والمراد في هذا المقام: إخوانكم؛ لأن المؤمنين فيما بينهم- فيما يلزم بعضهم لبعض من تحسين أمرهم وطلب صلاحهم ومحبتهم للخير- كالجسد الواحد، فمن لمز أخاه فقد لمز نفسه، ومن عاب إخوانه فقد عاب نفسه، وقال الله تعالى: «وَلَا تَأْكُلُوٓا۟ أَمْوَٰلَكُم بَيْنَكُم بِٱلْبَٰطِلِ» [البقرة:١٨٨]. أي: أموال إخوانكم.

وقال تعالى: «لَّوْلَآ إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بِأَنفُسِهِمْ خَيْرًا» [النور:١٢].

وقد ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم المؤمنين بأخوتهم لبعضهم البعض، فقال صلى الله عليه وسلم: «إياكم والظن، فإنَّ الظن أكذب الحديث، ولا تحسسوا ولا تجسسوا ولا تنافسوا ولا تباغضوا ولا تدابروا، وكونوا عباد الله إخوانًا». [متفق عليه: البخاري (٦٠٦٤)، ومسلم (٢٥٦٣)].

وقال صلى الله عليه وسلم: «لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه». متفق عليه: البخاري (١٣)، ومسلم (٤٥).

وقال صلى الله عليه وسلم: لا يحل لمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاث. متفق عليه: البخاري (٦٠٦٤)، ومسلم (٢٥٦٣)].

وقال صلى الله عليه وسلم: «لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه». البخاري (١٣)، ومسلم (٤٥).

وقال صلى الله عليه وسلم: «لا يحل لمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاث». متفق عليه. البخاري (٦٠٦٥)، ومسلم (٢٥٥٩).

وقال صلى الله عليه وسلم: «والله في عون العبد ما كان العبد في عون أخيه». [مسلم: ٢٦٩٩].

وقال صلى الله عليه وسلم في شأن الغيبة: «ذكرك أخاك بما يكره». [مسلم: ٢٥٨٩].

وقال صلى الله عليه وسلم: «لا يبيع الرجل على بيع أخيه». [متفق عليه: البخاري (٢١٣٩)، ومسلم (١٤١٢)]..

وقال صلى الله عليه وسلم: «ولا يخطب على خطبة أخيه». [متفق عليه: البخاري ٥١٤٢، ومسلم....].

وقال صلى الله عليه وسلم: «إنكم تختصمون إليَّ ولعل بعضكم ألحن بحجته من بعض، فمن قضيت له بحق أخيه شيئًا بقوله، فإنما أقطع له قطعة من النار فلا يأخذها». [متفق عليه: البخاري ٢٦٨٠، ومسلم ١٧١٣].

وقال صلى الله عليه وسلم: «انصر أخاك ظالمًا أو مظلومًا». [متفق عليه: البخاري ٢٤٤٤، ومسلم ٢٥٨٤].

وقال صلى الله عليه وسلم: «إذا كفرَّ الرجل أخاه فقد باء بها أحدهما». [البخاري ٦١٠٤].

كما ذكر صلى الله عليه وسلم المؤمنات بذلك، فقال صلى الله عليه وسلم: «لا يحل لامرأة تسأل طلاق أختها لتستفرغ صحفتها». [البخاري: ٥١٥٢].

ولما أمر صلى الله عليه وسلم النساء العواتق، والحيض، وذوات الخدور أن يخرجن لصلاة العيد ويشهدن الخير، ودعوة المسلمين، قالت أم عطية رضي الله عنها: يا رسول الله، إحدانا لا يكون لها جلباب؟ قال: «لتلبسها أختها من جلبابها». [متفق عليه: البخاري ٩٧١، ومسلم ٨٩٠].

أخوةٌ أساسها العقيدة والإيمان، وقاعدتها الدين الخالص للواحد الديان، تتوارى معها التميزات العرقية، وتموت العصبيات القومية، والفوارق الجنسية، لتبقى القاعدة الكبرى التي يقوم عليها المجتمع الإسلامي الذي تضمه آصرة خاصة، وتظله راية واحدة لا ثاني لها، إنها راية الإيمان.

أُخوةُ الإسلام أساسها العقيدة والإيمان، وقاعدتها الدين الخالص للواحد الديان، تتوارى معها التميزات العرقية، وتموت العصبيات القومية، والفوارق الجنسية

كم هو جميل أن نفرح بالعيد ونجعله نقطة تحول من حياة الفرقة والاختلاف، إلى الاجتماع على كلمة التوحيد والائتلاف، فاتحاد المسلمين هو أول خطوة يخطونها يَِ طريق العزَ والمجد والسؤدد.

كم هو جميل أن نفرح بالعيد ونجعله نقطة تحول من حياة الفرقة والاختلاف، إلى الاجتماع على كلمة التوحيد والائتلاف، فاتحاد المسلمين هو أول خطوة يخطونها يَِ طريق العزَ والمجد والسؤدد.

ولعل الناظر يدرِك أنه لم يكن لأمة الإسلام أن تجتمعِ لها كلمةٌ، أو يتوحد لها صف، أو ترفع لها رايةٌ، أو تقوم لها دولةٌ، أو يرهب منها عدو- إلا بتآخيها فيما بينها.

ولمثل هذا جاء التوجيه يَِ محكم التنزيل: «وَٱعۡتَصِمُواْ بِحَبۡلِ ٱللَّهِ جَمِيعٗا وَلَا تَفَرَّقُواْ» [آل عمران:١٠٣]، «وَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلۡبِرِّ وَٱلتَّقۡوَىٰۖ وَلَا تَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلۡإِثۡمِ وَٱلۡعُدۡوَٰنِۚ» [المائدة:٢]، تعاونًا يشمل أمور الحياة كلها، بقدِر ما تشمله هاتان الكلمتان الجامعتان: كلمةُ البرِّ وكلمةُ التقوى، فالبرُّ جماع كل خير، والتقوى اتقاءُ كلِ شر، بتحقيق التعاون علىِ البر والتقوى، يهون كل عسير، ويتحقق كل مطلوب، وتُحل المشكلات، وينعم الجميع بالسعادة، وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يَِ حجة الوداع: «ألا أخبركم بالمؤمن؟ مَن أمنه الناس على أموالهم وأنفسهم، والمسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده، والمجاهد من جاهد نفسه يَِ الله، والمهاجر من هجر الخطايا والذنوب». [الصحيحة: ٥٤٩]. تعميم يفيد أنّ كمال الإيمان يقتضي أن يحافظ المؤمن على أموال المؤمنين وأرواحهم، وأن يحافظ على أموال المعاهدين وأرواحهم ما داموا ملتزمين بعهدهم،

فيا إخواني- أناشدكم بالله- أن تجعلوا من عيدكم هذا نقطة تحول من داء التنافر والتناحر، والتشاحن والتدابر، وأفيضوا جميعًا إلى ظلال المحبة والسلام تحققوا ما تصبون إليه من رشد وخير يَِ دنياكم وأخراكم، وأن يسعى ويبادر كل متشاحنين إلى التسامح والصفاء، والتزاور والنقاء، ويتسابق الجميع من الذي يبدأ بالسلام وخيرهما الذي يبدأ بالسلام. [البخاري: ٦٠٧٧، ومسلم: ٢٥٦٠].

ويظفر بالجائزة الكبرى، «فَمَنۡ عَفَا وَأَصۡلَحَ فَأَجۡرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِۚ» [الشورى:٤٠]، اللهم ألف بين قلوبنا، وأصلح ذات بيننا، واهدنا سبل السلام.

تهنئة

تتقدم جمعية أنصار السنة المحمدية بالتهنئة للشيخ عبد الظاهر محمد عبد الفتاح، أحد أبناء أنصار السنة، وإمام أحد مساجدها، بمنطقة فيصل بمحافظة الجيزة؛ بامتنان الله تعالى عليه، وتعيينه شيخًا للإقراء والإجازات بالمسجد الحرام بمكة المكرمة.

وننوه أن الشيخ- حفظه الله- مع صغر سنه (٣٢) عامًا، حصل على أعلى الأسانيد يَِ القرآن الكريم، وعمل على نشر عقيدة أهل السنة يَِ مساجد الجماعة بمصر.

وجماعة أنصار السنة تتمنى له مزيدًا من التوفيق.

من روائع الماضي

أعيادنا بين العادة والعبادة

محمد البشير الإبراهيمي

(ت ١٣٧٣هـ - ١٩٥٤م)

نُشر عام ١٣٧٣هـ الموافق ١٩٥٤م

كلمتا العادة والعيد، تجتمعان في أصل الاشتقاق اللفظي، وتلتقيان على الاشتراك في المعنى الوضعي، ولكن الإسلام حينما شرع عيديه العظيمين بين بناء مشروعيتهما على معانٍ دينية جليلة، وأبقى اللفظ للدلالة على الزمن المؤقت لتلك المعاني، كما هو شأنه في جميع حقائقه وأحكامه القدرية والتكليفية والكونية المشهودة والمغيبة، يدل عليها بمفردات وتراكيب عربية مما يعرف الناس، ويبقي لها جزءًا من المعنى يتصل بالمعاني الدينية أيَ اتصال، أو يكون جزءًا منها ثم يصرف بقية الأجزاء من المعاني إلى الغرض الديني الكامل حتى لا يكون اللفظ منقولاً من معنى قديم أفرغ منه إفراغا إلى معنى جديد شحن به شحنا.

قرن الإسلام كل واحد من العيدين بشعيرة من شعائره العامة، لها جلالها الخير في الروحانيات، ولها خطرها الجليل في الاجتماعيات، ولها ريحها الهابَة بالخير والبر والإحسان والرحمة، ولها أثرها العميق في التربية الفردية والجماعية التي لا تكون الأمة أمة صالحة للوجود، نافعة في الوجود إلا بها.

هاتان الشعيرتان هما شهر رمضان الذي جاء عيد الفطر مسك ختامه، وكلمة الشكر على تمامه، والحج الذي كان عيد الأضحى بعض أيامه، والظرف الموعي لمعظم أحكامه، وناهيك بالشعيرتين منزلة بين شعائر الإسلام، وإنهما مظهر الامتحان الذي هو أساس التكليف، وإن كليهما سوق امتياز يمتاز منه الموفقون طرائف الخير، والعاملون لله فيه بالصدق والوفاء، وما كل تاجر رابح، وما كل متجر ربيح، وما كل بضاعة من أعمال العاملين تروج عنه الله، وإن شرَ ما باء به تاجر في تجارة أن يجتمع عليه التعب والخسارة.

هذا الربط الإلهي بين العيدين وبين الشعيرتين كاف في الحكم عليهما، وكاشف عن وجه الحقيقة فيهما، وأنهما عيدان دينيان بكل ما شرع فيهما من سنن حتى ما ندب إليه الدين، وهو في ظاهر أمره دنيوي، كالتجمل والتحلي والتعطر والتوسعة على العيال، وإلطاف الضيوف، والمرح، واختيار المناعم والأطايب، واللهو، مما لا يخرج إلى حد السرف والتغالي والتفاخر المذموم.

فمن تحرر المحاسن في الإسلام أن المباحات إذا حسنت فيها النية، وأريد بها تحقيق حكمة الله، أو شكر نعمته انقلبت قربات، إلى الغاية التي نطق بها الحديث الصحيح: «حتى اللقمة تضعها

في في امرأتك».

كلا طرفي العيد في معناه الإسلامي جلال وجمال، وتمام وكمال، وربط واتصال، وبشاشة تخالط القلوب، واطمئنان يلازم الجنوب، وبسط وانشراح، وهجر للهموم واطراح، وكأنه شباب وخطته النضرة، أو غصن عاوده الربيع فوخزته الخضرة، فلو وصف العيد نفسه وصف الخائل المزهو، وخلع على نفسه كل ما انتهى إليه خيال الشعراء، لكان مقصرًا عن الغاية مما وصفه الإسلام به، ولكان نازلا عن المنزلة التي وضعه فيها، وليس السر في يومه الذي يبتدئ بطلوع شمس، وينتهي بغروبها، وإنما السر فيما يعمر ذلك اليوم من أعمال، وما يغمره من إحسان وإفضال، وما يغشى النفوس المستعدة للخير فيه من سمو وكمال.

العيد في معناه الإسلامي جلال وجمال، وتمام وكمال، وربط واتصال، وبشاشة تخالط القلوب، واطمئنان يلازم الجنوب، وبسط وانشراح، وهجر للهموم واطراح.

العيد في نظرة الإسلام ملتقى عواطف تتقارب، بين طوائف كانت في أمسه تتحارب، ففيه يتنزّل الغني المترف، ويصعد الفقير المترب، فيلتقيان في عالم من عوالم المثال كما يقول الصوفية، هو خير ما ظلت الإنسانية تنشده فلا تجده، يتجلى العيد بجلاله على الغني فينسى تألهه بالمال، ويذكر أن كل من حوله إخوانه أولا وأعوانه ثانيا فيمحو إساءة عام بإحسان يوم، ويتجلّى على الفقير بجماله فينسى متاعب العام، ومكاره العام، وتمحو بشاشة العيد من نفسه آثار الحقد والتبرم والضيق، ولا تتفتح أمام عينيه إلا الطريق الواصلة بالله، المؤدية إلى الخير، وتنهزم في نفسه دواعي اليأس على حين تنتصر بواعث الرجاء.

هذه بعض معاني العيد كما نفهمها من الإسلام، وكما حققها المسلمون الصادقون يوم كانوا، فكان هذا الدين من العام زاد الرحلة بآثاره، ثم بانتظاره للعام كله، وكانت آثاره في النفوس كآثار الحمّام في الأبدان رحضًا للأبدان، وبعثًا للنشاط، فأين نحن اليوم من هذه الأعياد، وأين هذه الأعياد منا؟ وأين آثار العبادة فيها من آثار العادة؟

هذه الظواهر المتقلبة التي تتسلط على تلك المحاسن بالطمس والتشويه حتى تمسخ الجمال، ثم تنسخ التأثير، ثم تفسخ العقد، فلا يبقى للجمال استهواء للنفوس ولا تأثير فيها، ولا سلطان عليها، وقد تبدأ بالإلف يعقبه أنس، يعقبه تأثر، يعقبه اعتبار، يعقبه تحكم، يعقبه تحيكم، ثم ينتهي بأسوا ما ينتهي إليه تعاقب الأطوار، وهو النزول عن حكم الدين في ثبوته، والعقل في تقبيحه وتحسينه، والفكر في تأنيه ووزنه وقياسه وترتيبه وتقديره لحكم العادة المضطربة المتقلبة، فتصبح هي الحاكمة المقبحة المحسنة المقدرة، وهي صاحبة الاعتبار الأول في تقدير الحياة، ثم تتسامى إلى المسلمات اليقينية، فتمسها بالتشكيك ثم إلى الحقائق الدينية فتبتليها بالتزهيد فيها أو بالتبغيض، وهذا هو شر ما وصل إليه المسلمون بالنسبة إلى شعائر دينهم؛ تهجر بين أقوام فيصبح هجرها عادة تخشى مخالفتها والخروج عنه، ويقيمها أقوام بحكم العادة لا بحكم الدين، وآية ذلك أن فاعلها يأتي بها متبرمًا متثاقلًا مقدرًا لعتاب الناس لا لعذاب الله، وهذا التناقض في آثار العادة واقع بين المسلمين مشهود مشهور.

ونحن لا ننكر أن عوائد الناس تابعة لأحوال الناس رقيًا وانحطاطًا، فالأمة الراقية ترقى عادتها في الغالب؛ لأن عادتها تتشعب من مقوماتها، والأمة المنحطة تنحط عاداتها، والمسلمون اليوم في أحط دركات الانحطاط، فلا عجب إذا كانت عاداتهم المتحكمة فيهم من نوع حالتهم العامة. فمناشئ العادات فيهم هي أخص أحوالهم من الجهل والأمية والفقر والذلة والهوان وموت الشعور بالكرامة والشرف، ويقظة الشعور بالمهانة والنقص في النفس وفي الجنس والنفور من القريب والخضوع لحكم الغريب، فقل ما شئت في عادات تتكون من هذه الأمشاج الخبيثة، ثم حدث ولا حرج عن الآثار السيئة لتحكم هذه العادات في حياة المسلمين، ثم ابكهم مع الباكين، حينما تمد هذه العادات السخيفة مدّها فتنصبُ على الدين، فتصبح موازينه مأخوذة بالاعتبارات العادية، وأحكامه خاضعة للاعتبارات العادية، وأعماله تابعة للاعتبارات العادية، وواقعنا اليوم هو هذا، فليسلم العقلاء منا بهذا الدافع وليعالجوا الحالة على ضوئه، وحذار من المكابرة

فيه، فشر الخلال أن نركب الكبيرة ثم نكابر فيها فنصيرها كبيرتين، وتحجبنا المكابرة عن العلاج فنكون من الهالكين.

بلونا أمر المسلمين في القرون الأخيرة شهادة للحاضر، وتلقفًا لأخبار الغائب، وبدأنا بأنفسنا فوجدنا أنا ما أوتينا إلا من ضعف سلطان الدين على نفوسنا، ووزننا للأشياء كلها بالميزان العادي، وتحكيمنا للعادات السخيفة التي نبتت فينا في عصور الانحطاط.

هذه شعيرة الحج على جلالتها أصبحت متأثرة بالعوائد، فلا يحفز معظم المسلمين إليها ذلك الحافز الديني، ولا تدفعهم إلى تحمل لأوائها تلك الغاية السامية التي شرع الحج لتحقيقها، وإنما يحفز معظم الناس إليها الافتتان الشائع بالتلقيب، كأنهم يتبرمون بأسمائهم المجردة من كثرة التبذل والاستعمال، فيسعون في إضافة لقب أو وصف، كما يتهالك الخليون الفارغون على الألقاب الحكومية الزائفة، ويبذلون فيها الجعائل، وإن ذلك لمن هذا، وفي الأمم إذا تداعت للسقوط مشابه من البناء إذا تداعى للانهيار.

وهذه شعيرة الصوم خلت بين المسلمين من روحها التي تزكي وتجلب الروح والاطمئنان، وأصبحت وظيفة عادية يقوم بها القائمون تأثرًا بالعادة، لا انسياقًا للدين، ويتركها المنتهكون لحرمات الله، فيشيع الترك، فيكون هو العادة الجارية، ويكون الصوم شذوذًا خارقًا للعادة، وكلا الأمرين واقع في الأقطار الإسلامية، فالمحافظة على الصوم تغلب في الجزائر مثلًا اتباعًا لعادة المجتمع المتشدد مع المفطرين، وهذا المجتمع المتشدد في الصوم متساهل إلى أقصى الحدود مع تاركي الصلاة، فلو كان للشعائر سلطانها الديني على النفوس لما أفطر في رمضان أحد، ولما ترك الصلاة أحد، ولما كان للعادة دخل في هذا المجال، ولو كان المتشددون مدفوعين بدافع ديني لكان تشددهم مع تاركي الصلاة أقوى وأشد، وأولى وأوكد.

إن المسلمين جردوا هذه الأعياد من حليتها الدينية، وعطلوها من تلك المعاني الروحية الفوارة، التي كانت تفيض على النفوس بالبهجة، مع تجهم الأحداث، وبالبشر مع عبوس الزمن، وأصبحوا يلقون أعيادهم بهمم فاترة، وحسّ بليد، وشعور بارد، وكأنها عملية تجارية تتبع الخَصب والجدب، وتتأثر بالعسر واليسر والإنفاق والكساد، لا صبغة روحية ذاتية تؤثر ولا تتأثر. ولولا نفحات فطرية تهبُّ على نفوس الصغار القريبين من الفطرة، فتتجلى فيها بعض معاني العيد، فتطفح بشرًا على وجوههم، وتنبعث فرحًا في شمائلهم، ونشاطًا في حركاتهم، واجتماعًا على المحبة في زمرهم، واتجاهًا إلى المبهجات في مجتمعاتهم، لولا ذلك لكانت المآتم أعمر بالحركة وأدل على الحياة من أعيادنا.

العادات محكمة... ويقيد الفقهاء إطلاق العادة بأن تكون محققة لمصلحة، أو دافعة لمفسدة، وبأن لا تنقض نصًا شرعيًا، ولا تعاند حكمًا إجماعيًا، فإن لم تكن كذلك كانت باطلة مردودة، ونحن نقول: إن عاداتنا مع سخافتها، أصبحت حاكمة يرجع الناس إليها عن عقولهم وأفكارهم ومصالحهم وعن دينهم أيضًا.

لو أوتينا الرشد لكان لنا من أعيادنا الدينية الجليلة مواقف لتصحيح الانتساب، ومواقيت لتصفية الحساب، ولعلمنا أن نفس المؤمن تتسع للدين والدنيا، وأن كمال أحدهما كفيل بكمال الآخر، وأن طروق الضعف لأحدهما مؤذن بطروقه للآخر. ويوم كان الدين كاملًا في النفوس كانت الدنيا مملوكة لتلك النفوس، ويوم أضعنا الدين أضعنا الدنيا، فلا يذهب الخراصون مذاهبهم في العلل والأسباب؛ فهم بعض تلك الأسباب، ولا يتعبوا أنفسهم في (الوصفات) لدواء أمراضنا، فهم بعض أمراضنا، ونحن أعرف بدائنا ودوائنا، ومن آداب النبوة فينا (الحمية رأس الدواء) فأنجع الأدوية لأدوائنا الحمية.. الحمية من المطامع والشهوات فهي التي أفسدت علينا ديننا ودنيانا، وإذا فعلت هذه الحمية فعلها خفت الأخلاط فخفت الأغلاط، فتجدد النشاط، فهدينا إلى سواء الصراط.

> **العادات محكمة... ويقيد الفقهاء إطلاق العادة بأن تكون محققة لمصلحة، أو دافعة لمفسدة، وبأن لا تنقض نصًا شرعيًا، ولا تعاند حكمًا إجماعيًا، فإن لم تكن كذلك كانت باطلة مردودة.**

وقفات تربوية في ختام شهر رمضان

إعداد **عبد العزيز مصطفى الشامي**

الحمد لله، والصلاة والسلام على سيدنا رسول الله، صلى الله عليه وسلم، وبعد:

فينبغي للعبد المسلم أن يقف مع أيام الله تبارك وتعالى، ليتعظ بها ويعتبر بمرورها، فالأيام تمر سريعًا والأعمار تنقضي، فبينما نحن منذ أيام ننتظر قدوم رمضان، إذ بنا نستعد لوداعه!!

ومع قدوم رمضان ورحيله، ينبغي لكل واحد منا أن يتدبر ويتفكر مع نفسه في هذه الدروس والعبر السريعة والمهمة:

١- الانتباه لسرعة مرور الأيام والحذر من الدنيا:

إن عمر الإنسان هو كنزه الحقيقي ورأس ماله، وإن تضييعه والتفريط في ساعاته وأيامه لمن الغبن والخسار الذي يقع فيه كثير من الناس، وصدق رسول الله حيث قال: «نعْمَتَانِ مَغْبُونٌ فيهمَا كَثِيرٌ مِنَ النَّاس: الصِّحَّةُ وَالْفَرَاغُ» [رواه البخاري ٦٤١٢].

لذلك فمن الأمور المهمة التي ينبغي أن يقف معها العبد مع رحيل رمضان وصية النبي لعبد الله بن عمر رضي الله عنهما، قَالَ أَخَذَ رَسُولُ الله بِمَنْكِبِي، فَقَالَ كُنْ فِي الدُّنْيَا كَأَنَّكَ غَرِيبٌ أَوْ عَابِرُ سَبِيل وَكَانَ ابْنُ عُمَرَ يَقُولُ إِذَا أَمْسَيْتَ فَلاَ تَنْتَظِرْ الصَّبَاحَ، وَإِذَا أَصْبَحْتَ فَلاَ تَنْتَظِرْ الْمَسَاءَ، وَخُذْ مِنْ صِحَّتِكَ لِمَرَضِكَ، وَمِنْ حَيَاتِكَ لِمَوْتِكَ. [رواه البَخاري ٦٤١٦].

فالنبي يوصي عبد الله بن عمر وهو من آخر الصحابة موتًا، يوصي شابًا في العشرين من العمر بقصر الأمل والحذر من الدنيا.

إن من ملامح ختام رمضان ورحيله أن يتذكر الإنسان خواتيم الأعمال وخواتيم الأعمار، وألا يغفل عما يحمل من الآثام والأوزار، فكل شيء عند الله بأجل مسمى ومقدار، والعاقل من انتبه وأخذ أهبته، واستعد لسفر طويل، وإقامة طويلة في القبور، فيعمل لهذا اليوم ولا تشغله الدنيا بغرورها.

> من ملامح ختام رمضان ورحيله أن يتذكر الإنسان خواتيم الأعمال وخواتيم الأعمار وألا يغفل عما يحمل من الآثام والأوزار فكل شيء عند الله بأجل مسمى ومقدار والعاقل من انتبه وأخذ أهبته واستعد لسفر طويل.

٢- الجمع بين الإحسان والخوف:

إن من تأمل أحوال الأنبياء والصحابة والصالحين وجدهم في غاية العمل مع غاية الخوف، فهم جمعوا بين الإحسان والخوف، ونحن جمعنا بين الإساءة والأمن، ولا حول ولا قوة إلا بالله، وقد كان السلف رحمهم الله تعالى يحسنون في أعمالهم، ويتقون الله ما استطاعوا وهم مع ذلك لا يُعجبون بعمل، ولا يُفتتنون بثناء الناس ولا محمدة الخلق.

قال ابن القيّم رحمه الله «إذا أراد الله تعالى بعبد خيرًا سلب رؤية أعماله الحسنة من قلبه، والإخبار بها من لسانه، وشغله برؤية ذنبه؛ فلا يزال نصب عينيه حتى يدخل الجنة؛ فإن ما

تُقبَل من الأعمال رُفع من القلب رؤيته، ومن اللسان ذكره» [طريق الهجرتين ص ٢٧٠].

وقد بيَّن النبي صلى الله عليه وسلم أن العبد العاقل لا يرتكن على عمل ضعيف لا يدري أقبله الله منه أم لا، وإنما العبد الموفق من يعمل ويعبد ويجد ويعتمد بعد كل ذلك على الطمع فيما عند الله، فلا يُدلّ بعمل ولا يستولي عليه العجب، بل يتواضع لربه لعله يقبل منه، ويخفض جناحه لعل الله يمُن بالقبول، فعن عَائِشَةَ رضي الله عنها أن النَّبِيَّ قَالَ: سَدِّدُوا وَقَارِبُوا، وَأَبْشِرُوا؛ فَإِنَّهُ لا يُدْخِل أَحَدًا الْجَنَّةَ عَمَلُهُ. قَالُوا: وَلا أَنْتَ يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ: وَلا أَنَا، إلاَّ أَنْ يَتَغَمَّدَنِي اللهُ بِمَغْفِرَةٍ وَرَحْمَةٍ. [رواه البخاري ٦٤٦٧].

وثبت عن أم المؤمنين عَائِشَةَ رضي الله عنه أنها قَالَتْ: قُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ «الَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوْا وَقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ» أَهُوَ الرَّجُلُ يَزْنِي وَيَسْرِقُ وَيَشْرَبُ الْخَمْرَ؟ قَالَ: لا يَا بِنْتَ أبي بَكْر، أَوْ لا يَا بِنْتَ الصِّدِّيقِ، وَلَكِنَّهُ الرَّجُلُ يَصُومُ وَيُصَلِّي وَيَتَصَدَّقُ وَهُوَ يَخَافُ أَنْ لا يُقْبَلَ مِنْهُ. [رواه أحمد ٢٥٧٤٦ وحسنه الألباني].

فهذه أم المؤمنين تظن أن الخائف ذا القلب الوجل هو إنسان أتى من الموبقات والكبائر ما يُسخط الله عليه، ومثله يحق له الخوف، بل يجب، فصحَّح لها النبي الفهم وأرشدها إلى أن المتقين من عباد الله يجمعون مع الإحسان خوف عدم القبول.

واليك هذا المثال من تواضع السلف الصالح، فقد روى البخاري في صحيحه في سياق موت عمر بن الخطاب رضي الله عنه وهو حديث طويل وفيه «وَكَأَنَّ النَّاسَ لَمْ تُصِبْهُمْ مُصِيبَةٌ قَبْلَ يَوْمَئِذٍ فَقَائِلٌ يَقُولُ لا بَأْسَ، وَقَائِلٌ يَقُولُ أَخَافُ عَلَيْهِ، فَأُتِيَ بِنَبِيذٍ فَشَرِبَهُ، فَخَرَجَ مِنْ جَوْفِهِ، ثُمَّ أُتِيَ بِلَبَنٍ فَشَرِبَهُ فَخَرَجَ مِنْ جُرْحِهِ؛ فَعَلِمُوا أَنَّهُ مَيِّتٌ، فَدَخَلْنَا عَلَيْهِ وَجَاءَ النَّاسُ فَجَعَلُوا يُثْنُونَ عَلَيْهِ، وَجَاءَ رَجُلٌ شَابٌّ فَقَالَ أَبْشِرْ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ بِبُشْرَى اللَّهِ لَكَ مِنْ صُحْبَةِ رَسُولِ اللَّهِ وَقَدَمٍ فِي الإِسْلَامِ مَا قَدْ عَلِمْتَ ثُمَّ وَلِيتَ فَعَدَلْتَ ثُمَّ شَهَادَةٌ قَالَ وَدِدْتُ أَنَّ ذَلِكَ كَفَافٌ لا عَلَيَّ وَلا لِي» [رواه البخاري ٣٧٠٠].

فانظر -رحمني الله وإياك- إلى هذا الجيل جيل الصحابة، يُمدح عمر رضي الله عنه بأعمال حقيقية عملها، وهو أولى بتلك البشارات في سكرات الموت ليحسن ظنه بربه، ولكنه يأبى في مَثل عجيب، ويتمنى وهو الصادق البارّ أن يخرج منها كفافا، وأحدنا الآن لصلاة ركعات وصيام أيام يظن نفسه في أعلى الدرجات وأرفع المنازل، فتواضعوا يا أهل الخير وانظروا في صفحات أعمال السلف الصالح تعرفوا قيمة أنفسكم، وتصيروا إلى حال أحسن من حالكم بتوفيق الله تبارك وتعالى.

إن العبد الصادق لا يرى نفسه إلا مقصرًا، والموجب له لهذه الرؤية استعظام مطلوبه، واستصغار نفسه ومعرفته بعيوبها، وقلة زاده في عينه، فمن عرف الله وعرف نفسه، لم يرَ نفسه إلا بعين النقصان.

وقال ابن القيم رحمه الله في وصف الصالحين وأعمالهم «فإن العبد الصادق لا يرى نفسه إلا مقصرًا، والموجب له لهذه الرؤية استعظام مطلوبه، واستصغار نفسه ومعرفته بعيوبها، وقلة زاده في عينه، فمن عرف الله وعرف نفسه، لم يرَ نفسه إلا بعين النقصان» [مدارج السالكين ٢/ ٢٨٢].

٣- أبرز علامات القبول:

إن أوضح علامة على القبول هي استمرارُ العبد على الخير والعمل الصالح بعد رمضان قال بعضهم: "ثوابُ الحسنة الحسنةُ بعدها، فمن عمل حسنة ثم أتبعها بحسنة بعدها كان ذلك علامة على قبول الحسنة الأولى، كما أن من عمل حسنة ثم أتبعها بسيئة كان ذلك علامة

رد الحسنة وعدم قبولها".

ما أحسن الحسنة بعد السيئة تمحوها، وأحسنُ منها الحسنةُ بعد الحسنة تعقبها وما أقبح السيئة بعد الحسنة تمحقها وتعفوها، فلا ترجع أخي إلى المعصية بعد رمضان، واصبر عن لذة الهوى بحلاوة الإيمان، واصبر لله تعالى يعوضك خيرًا.

وتلك قاعدة سنَّها رسول الله بقوله «أحب الأعمال إلى الله أدومها وإن قل» متفق عليه، قالت عائشة رضي الله عنها «وكان أحب الدين إليه ما داوم عليه صاحبه» [رواه البخاري ٤٣].

إن حاجة العبد لعبادة الله أكيدة، وهو لا يستغني عن ربه طرفة عين، قال الإمام ابن القيم رحمه الله تعالى: «وفي القلب فاقة عظيمة وضرورة تامة وحاجة شديدة لا يسدها إلا فوزه بحصول الغنى بحب الله الذي إن حصل للعبد؛ حصل له كل شيء، وإن فاته؛ فاته كل شيء، فكما أنه سبحانه الغني على الحقيقة، ولا غني سواه، فالغنى به وبحبه هو الغنى في الحقيقة، ولا غنى بغيره ألبتة، فمن لم يستغن به عما سواه؛ تقطعت نفسه حسرات، ومن استغنى به زالت عنه كل حسرة وحضره كل سرور وفرح، والله المستعان. [طريق الهجرتين ص ٦٢].

إن استدامة الطاعة والمداومة على الأعمال الصالحة لهي في الحقيقة من عوامل الثبات على دين الله وشرعه.

٤- بماذا نختم رمضان ونستقبل شوال؟

أمر الله عباده أن يختموا أعمالهم العظيمة بالاستغفار والتوبة، فبعد كل صلاة استغفارٌ، فعَنْ ثَوْبَانَ رضي الله عنه قَالَ كَانَ رَسُولُ الله إذا انْصَرَفَ مِنْ صَلاَته اسْتَغْفَرَ ثَلاَثًا، وَقَالَ «اللَّهُمَّ أَنْتَ السَّلاَمُ وَمِنْكَ السَّلاَمُ، تَبَارَكْتَ ذَا الْجَلاَلِ وَالإِكْرَامِ» قَالَ الْوَلِيدُ فَقُلْتُ لِلأَوْزَاعِيِّ كَيْفَ الاِسْتِغْفَارُ؟ قَالَ تَقُولُ أَسْتَغْفِرُ اللَّه، أَسْتَغْفِرُ اللَّه. [رواه مسلم ٥٩١].

والحاج بعد نزوله من عرفة يلزم الاستغفار قال الله تعالى: « ثُمَّ أَفِيضُوا۟ مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ ٱلنَّاسُ وَٱسْتَغْفِرُوا۟ ٱللَّهَ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ » [البقرة: ١٩٩].

بل إن الله تبارك وتعالى أمر النبي أن يختم عمره المبارك بالاستغفار، فقال جل وعلا: «إِذَا جَآءَ نَصْرُ ٱللَّهِ وَٱلْفَتْحُ ① وَرَأَيْتَ ٱلنَّاسَ يَدْخُلُونَ فِى دِينِ ٱللَّهِ أَفْوَاجًا ② فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَٱسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُۥ كَانَ تَوَّابًۢا» [سورة النصر]، وعَنْ عَائشَةَ رَضِيَ الله عَنْهَا قَالَت كَانَ النَّبِيُّ يُكْثرُ أَنْ يَقُولَ فِي رُكُوعه وَسُجُوده: سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ رَبَّنَا وَبِحَمْدِكَ، اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي؛ يَتَأَوَّلُ الْقُرْآنَ. متفق عليه.

إن أوضح علامة على القبول هي استمرارُ العبد على الخير والعمل الصالح بعد رمضان قال بعضهم: "ثوابُ الحسنةِ الحسنةُ بعدها، فمن عمل حسنة ثم أتبعها بحسنة بعدها كان ذلك علامة على قبول الحسنة الأولى".

وإن العبدَ ليتحسر على تفريطه، فبالأمس كنا ننتظر رمضان، وها نحن الآن نودعه، وهكذا تمضي الأعمار، وإنما العبد جملة من أيام، كلما ذهب يوم ذهب بعضه هذا رمضانِ يمضي، كما كان بالأمس يأتي، فسبحان من قلب الليل والنهار، وأجرى الدهور والأعوام، وفي ذلك معتبر للمعتبرين، وموعظة للمتقين

هذا رمضان تطوى صحائفه بأعمال العباد، ولا تنشر إلا يوم القيامة والحساب، ولا ندري أندرك رمضان القابل أم لا؟ فالله المستعان

وكتب عمر بن عبد العزيز رحمه الله تعالى إلى الأمصار يأمرهم بختم شهر رمضان بالاستغفار والصدقة صدقة الفطر؛ فإن صدقة الفطر طهرة للصائم من اللغو والرفث، والاستغفار يرقِّع ما تخرَّق من الصيام باللغو والرفث.

أسأل الله العلي القدير أن يتقبلنا بقبول حسن وأن يصلح قلوبنا وأعمالنا، والحمد لله رب العالمين.

واحة التوحيد

من دلائل النبوة

شفاء المرضى بإذن الله

عن عاصم بن عمر بن قتادة عن أبيه عن جده قتادة بن النعمان أنه أصيبت عينه يوم بدر فسالت حدقته على وجنته، فأرادوا أن يقطعوها فسألوا النبي صلى الله عليه وسلم، فقال: لا، فدعا به فغمز حدقته براحته، فكان لا يدري أي عينيه أصيبت. (دلائل النبوة للبيهقي، ومسند أبي يعلى ١٢٠/٣).

من نور كتاب الله

عفو الله أوسع

قال تعالى: «قُلْ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ»

[الزمر: ٥٣].

من أقوال السلف

عن عبد الرحمن بن أبي الزناد عن أبيه قال: إن السنن لا تخاصم، ولا ينبغي لها أن تتبع بالرأي والتفكير، ولو فعل الناس ذلك لم يمض يوم إلا انتقلوا من دين إلى دين، ولكنه ينبغي للسنن أن تلزم ويتمسك بها على ما وافق الرأي أو خالفه. [الفقيه والمتفقه]

أحاديث باطلة لها آثار سيئة

"لو أحسن أحدكم ظنه بحجر لنفعه"

قال شيخ الإسلام ابن تيمية «موضوع»، وقال ابن القيم: «هو من وضع المشركين عباد الأوثان» وقال ابن حجر: «لا أصل له».

من أمراض المجتمع المعاصر

التطاول على الدين : هي دعوة إلى نسف السنة النبوية الشريفة والتطاول على المقدسات الإسلامية تحت ستار الإبداع والحداثة وحرية التعبير بهدف هدم قلاع الحياء والعفة، متناسين قول الله عز وجل: «إِنَّ ٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُّهِينًا» [الأحزاب: ٥٧].

من معاني الأحاديث

في الحديث «أنه نهى عن الخذف» هو رميك حصاة أو نواة تأخذها بين إصبعيك وترمي بها، أو تتخذ مخذفة من خشب ثم ترمي بها الحصاة بين إبهامك والسبابة. [النهاية لابن الأثير].

من هدي رسول الله صلى الله عليه وسلم

صيام ست من شوال

عن أبي أيوب الأنصاري رضي الله عنه، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «من صام رمضان ثم أتبعه ستًا من شوال، كان كصيام الدهر» [صحيح مسلم ١١٦٤].

من فضائل الصحابة بشهادات آل البيت

عن إبراهيم قال: بلغ علي بن أبي طالب أن عبد الله بن الأسود ينتقص أبا بكر وعمر فهمَّ بقتله، فقيل له: تقتل رجلاً يدعو إلى حبكم أهل البيت فقال: لا يساكني في دار أبدًا. (أصول الاعتقاد للالكائي).

اعداد: علاء خضر

من دعائه صلى الله عليه وسلم

عن شكل بن حميد قال: قلت: يا رسول الله! علمني دعاء أنتفع به. قال: «قل: اللهم عافني من شر سمعي، وبصري، ولساني، وقلبي، وشر منيي». قال وكيع: «منيي» يعني: الزنا والفجور. [الأدب المفرد للبخاري ٦٦٣ وصححه الألباني].

حكم ومواعظ

قال الشعبي: تعاشر الناس فيما بينهم زمانا بالدين والتقوى، ثم رُفع ذلك، فتعاشروا بالحياء والتذمم، ثم رفع ذلك، فما يتعاشر الناس إلا بالرغبة والرهبة. [العقد الفريد].

من سير الخلفاء

كان هارون الرشيد من أنبل الخلفاء وأحشم الملوك، ذا حجّ وجهاد وغزو وشجاعة ورأي. وقيل: إنَه كان يصلي في خلافتهَ في كل يوم مائة ركعة إلى أن مات، ويتصدق بألف.. وكان يحب العلماء، ويعظّم حرمات الدين، ويبغض الجدال والكلام، ويبكي على نفسه ولهوه وذنوبه، لا سيما إذا وُعظ. [سير أعلام النبلاء].

من حكمة الشعر

قال الشافعي في التوكل:

توكلت في رزقي على الله خالقي
وأيقنت أن الله لا شك رازقي
وما يك من رزقي فليس يفوتني
ولو كان في قاع البحار العوامق

أثر السياق في فهم النص

تأثير قرائن السياق على الأحكام الفقهية

إعداد **متولي البراجيلي**

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، وبعد:

سبق أن ذكرنا الخطوات المتبعة لدفع التعارض الظاهري بين النصوص، وهي:

أولا: الجمع بين الأدلة،

ثانيا: النسخ،

ثالثا: الترجيح - ولم نتمه بعد - فطرق الترجيح بين الأدلة النقلية لها أربعة أوجه:

١- الترجيح من جهة السند.
٢- الترجيح من جهة المتن.
٣- الترجيح لأمر خارجي.
٤- الترجيح بالدلالة.

تكلمنا بفضل الله تعالى - عن الوجه الأول، وبدأنا الكلام عن الثاني: وهو الترجيح من جهة المتن، وقلنا: إن له طرقا متعددة، ذكرنا منها خمسة طرق، هي: ترجيح النص على الظاهر، وترجيح الظاهر على المؤول، وترجيح المنطوق على المفهوم، وترجيح المثبت على النافي، وترجيح الخاص على العام. ونستأنف البحث:

سادساً: ترجيح العام المحفوظ على العام المخصوص (غير المحفوظ):

العام المحفوظ هو العام الذي لم يخرج منه أي فرد من أفراده بالتخصيص، فيبقى على عمومه، أما العام المخصوص (غير المحفوظ) فهو العام الذي خرج منه بعض أفراده، ففي حالة التعارض وعدم استطاعة الجمع، فإننا نقدم العام المحفوظ على غير المحفوظ (المخصوص) يقول الشنقيطي: العام الذي لم يدخله تخصيص مقدم على العام الذي دخله تخصيص، وهذا رأي جمهور أهل الأصول، ولم أعلم أحدا خالف فيه إلا صفي الدين الهندي والسبكي..

وحجة الجمهور أن العام المخصوص اختُلف في كونه حجة في الباقي بعد التخصيص، والذين قالوا هو حجة في الباقي، قال جماعة منهم هو مجاز في الباقي، بخلاف الذي لم يدخله تخصيص، فهو سالم من ذلك، وما اتفق على أنه حجة وأنه حقيقة أولى مما اختُلف في حجيته، وهل هو حقيقة أو مجاز، وإن كان الصحيح أنه حجة وحقيقة في الباقي بعد التخصيص؛ لأنه مطلق الخلاف يكفي في ترجيح غيره عليه..

ومثال هذه المسألة قوله تعالى: (وَأَن تَجْمَعُوا۟ بَيْنَ ٱلْأُخْتَيْنِ) (النساء: ٢٣) فإنه عام في كل أختين سواء كان الجمع بينهما بنكاح أو بملك يمين، وهذا العام لم يدخله تخصيص فهو مقدم على عموم قوله تعالى: (وَٱلَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَـٰفِظُونَ ۝٥ إِلَّا عَلَىٰٓ أَزْوَٰجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَـٰنُهُمْ).. (المؤمنون ٥، ٦) ؛ فإن قوله تعالى: (أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَـٰنُهُمْ) شامل بعموم الأختين، إلا أن عموم (أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَـٰنُهُمْ) يخصصه عموم (وَأَخَوَٰتُكُم مِّنَ ٱلرَّضَـٰعَةِ) (النساء: ٢٣)، فلا تحل الأخت من الرضاعة بملك اليمين إجماعًا. ويخصصه أيضا عموم (وَلَا تَنكِحُوا۟ مَا نَكَحَ ءَابَآؤُكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ) (النساء: ٢٢) فلا تحل موطوءة الأب بملك اليمين إجماعًا.. (مذكرة أصول الفقه للشنقيطي ص ٣٨٥ /٣٨٦).

سابعاً: ترجيح ما قلت مخصصاته على ما كثرت مخصصاته:

أيضًا إن لم نتمكن من الجمع، فإننا نرجَح العام الذي قلت مخصصاته على العام الذي كثرت مخصصاته، مثال ذلك قوله تعالى: (وَطَعَامُ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَـٰبَ حِلٌّ لَّكُمْ وَطَعَامُكُمْ حِلٌّ لَّهُمْ) (المائدة: ٥) على آية: (وَلَا تَأْكُلُوا۟ مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ ٱسْمُ ٱللَّهِ عَلَيْهِ) (الأنعام ١٢١)، فلو ذبح الكتابي ذبيحة، ولم يسمِّ الله عليها ولا غيره، فعموم قوله تعالى: (وَطَعَامُ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَـٰبَ حِلٌّ لَّكُمْ) يقضي بإباحتها،

وعموم قوله تعالى: (وَلَا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ) يقتضي تحريمها، وكل من العمومين دخله تخصيص، إلا أن الأول (الآية الأولى) خصص مرة واحدة، والثاني خصص مرتين، فالأول أقوى؛ لأنه أقل تخصيصًا؛ لأن قوله تعالى: (وطعام الذين أوتوا الكتاب حل لكم) لم يخصص إلا تخصيصة واحدة، وهي بما إذا لم يسم الكتابي على ذبيحته غير الله، كالصليب أو عيسى عليه السلام؛ فإن سمى ذبيحته، دخلت في عموم (وَمَا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ) (المائدة: ٣) على الأصح الذي لا ينبغي العدول عنه.

أما الآية (وَلَا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ) فقد خصصت تخصيصتين، خصصها الجمهور بغير الناسي، فتارك التسمية نسيانًا تؤكل ذبيحته عند الجمهور، وحكى عليه ابن جرير الإجماع مع أنه خالف فيه اثنان. وخصصه الشافعي وأصحابه بما ذبح لغير الله. (مذكرة أصول الفقه للشنقيطي ص٣٨٦).

ثامنًا: ترجيح العام المطلق على العام الوارد على سبب في غير صورة السبب:

العام الوارد على سبب، قصره بعض العلماء على السبب الوارد لأجله، بخلاف العام المطلق الذي لم يرد من أجل سبب؛ فإذا تعارض ولم نتمكن من الجمع، فإننا نقدم العام المطلق على العام الوارد على السبب

العام الوارد على سبب، قصره بعض العلماء على السبب الوارد لأجله، بخلاف العام المطلق الذي لم يرد من أجل سبب؛ فإذا تعارض ولم نتمكن من الجمع، فإننا نقدم العام المطلق على العام الوارد على السبب.

مثال ذلك: حديث ابن عباس رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم: "من بدل دينه فاقتلوه" (رواه البخاري)، وحديث ابن عمر رضي الله عنهما، وفيه أن النبي صلى الله عليه وسلم نهى عن قتل النساء والصبيان (متفق عليه).

فالجمهور قدموا حديث (من بدل دينه فاقتلوه)، وسووا بين الرجل والمرأة في ذلك، وقال أبو حنيفة وأصحابه لا تقتل المرأة إذا ارتدت كما لا تقتل نساء أهل الحرب في الحرب، وإنما تُقتل رجالهم، وجعلوا الكفر الطارئ (الردة) كالأصلي في الحرب، لكن الجمهور فرّقوا بينهما، وجعلوا الطارئ أغلظ لما سبقه من إسلام (انظر جامع العلوم والحكم لابن رجب الحنبلي ١/ ٣١٨).

فحمل العلماء حديث النهي عن قتل النساء والصبيان على سببه وهو الحرب، فلا يجوز عند جميع العلماء قصد قتل نساء الحربيين ولا أطفالهم لأنهم ليسوا ممن يقاتل في الغالب.. واتفق الجمهور على أن النساء والصبيان إذا قاتلوا قتلوا، وهو قول مالك والليث وأبي حنيفة والثوري والأوزاعي والشافعي وأحمد.. وغيرهم.

وقال الحسن البصري: "إن قاتلت المرأة وخرجت معهم إلى ديار المسلمين فلتقتل" (انظر شرح صحيح البخاري لابن بطال ٥/ ١٠٧). وبالتالي فإذا ارتدت المرأة فحكمها كحكم الرجل، والله أعلم.

الوجه الثالث: الترجيح لأمر خارجي:

١- الترجيح بالأحوط:

والترجيح بالأحوط له ضوابط، ويلجأ إليه العلماء أحيانًا في بعض المسائل الخلافية التي لا يتضح للمجتهد فيها الوجه الراجح، فيخرج من الخلاف بالفتوى بالأحوط عملاً بحديث النبي صلى الله عليه وسلم الذي رواه الحسن بن علي رضي الله عنهما (دع ما يريبك إلى ما لا يريبك)... (صحيح سنن الترمذي وغيره) وبحديث النعمان بن بشير: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: (الحلال بيّن والحرام بيّن، وبينهما مشبهات لا يعلمها كثير من الناس، فمن اتقى المشبهات استبرأ لدينه وعرضه....) (متفق عليه).

وكذلك يوردون في هذا الباب حديث عقبة بن الحارث رضي الله عنه أنه تزوج ابنة لأبي إهاب بن عزيز، فأتته امرأة فقالت: إني قد أرضعت عقبة والتي قد تزوج بها، فقال لها عقبة: ما أعلم أنك أرضعتني ولا أخبرتني، فركب إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة فسأله، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "كيف وقد قيل؟!" ففارقها عقبة ونكحت زوجًا غيره (صحيح البخاري).

فما تنازعته الأدلة وتجاذبته المعاني، وتساوت فيه الأدلة، ولم يغلب أحد الطرفين صاحبه، وبيان ذلك في حديث عقبة بن الحارث، وذلك أن جمهور العلماء ذهبوا إلى أن النبي صلى الله عليه وسلم أفتاه بالتحرر من الشبهة، وأمره بمجانبة الريبة خوفًا من الإقدام على فَرْج يُخاف أن يكون الإقدام عليه ذريعة إلى الحرام؛ لأنه قد قام دليل التحريم بقول المرأة: أنها أرضعتهما، لكنه لم يكن قاطعًا ولا قويًا لإجماع العلماء أن شهادة امرأة واحدة لا تجوز في مثل ذلك، لكن أشار عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم بالأحوط (انظر شرح صحيح البخاري لابن بطال ٦ / ١٩٥).

فإذا اجتمع حاظر ومبيح - ولم نستطع الجمع بينهما «وهو الأولى» - فإننا نغلب الحاظر على المبيح، عملا بالأحوط، وقد سأل عدي بن حاتم رضي الله عنه النبي صلى الله عليه وسلم عن الصيد بالكلب المعَلَّم إذا وجد معه كلبًا آخر، فماذا يفعل؟ قال:.. قلت يا رسول الله: أرسل كلبي وأسمي، فأجد معه على الصيد كلبًا آخر لم أسم عليه ولا أدري أيهما أخذ؟ فقال النبي صلى الله عليه وسلم: "لا تأكل، إنما سميت على كلبك ولم تسم على الآخر" (متفق عليه).

إذا اجتمع حاظر ومبيح - ولم نستطع الجمع بينهما «وهو الأولى» - فإننا نغلب الحاظر على المبيح، عملا بالأحوط.

فأرشده النبي صلى الله عليه وسلم للأخذ بالأحوط، يقول ابن القيم: "لما كان الأصل في الذبائح التحريم، وشك هل وجد الشرط المبيح أم لا؟ بقي الصيد على أصله في التحريم" (إعلام الموقعين لابن القيم ت ٧٥١، ١/ ٢٥٦).

ومن تطبيقات ذلك: إذا دخل الرجل بلاد غير المسلمين ووجد اللحوم مختلطة، لحم بقر مع لحم خنزير، ولم يستطع التفرقة بينهما، فهنا يمتنع عن الأكل؛ أخذاً بالأحوط من جهة، وإعمالاً لقاعدة أن الأصل في الذبائح التحريم.

تنبيه: قد يتوسع بعض طلبة العلم غير المتمكنين من أصول الشرع وقواعد الفتوى في مسألة الأخذ بالأحوط، ظنًا منهم أن هذا هو الأسلم، وهذا ليس بصواب فقد يكون فيه تضييق على الناس في أمر فيه سعة لو عُرض على عالم متمكن والله سبحانه وتعالى يقول: (ولا تقف ما ليس لك به علم إن السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسئولا).

وابن القيم في " الإعلام " قال: إذا تساوى عند المفتي قولان فماذا يصنع فقال بعد أن ذكر قول القاضي أبي يعلى وفيه... وقيل بل يفتيه بالأحوط من القولين. قال ابن القيم: الأظهر أن يتوقف ولا يفتيه بشيء حتى يتبين له الراجح منهما... (انظر إعلام الموقعين ٤ / ١٨٣).

٢- الترجيح بما عليه العمل عند أكثر أهل العلم (الصحابة ومن بعدهم) وهذا يرجح به بعض أهل العلم كالترمذي؛ فإنه يذكر الحديث ثم يذكر عقبه: والعمل على هذا عند أكثر أهل العلم، من ذلك: حديث الربيع بنت معوذ (في مسح الرأس في الوضوء مرة واحدة) أنها رأت النبي صلى الله عليه وسلم يتوضأ، قالت: مسح رأسه ومسح ما أقبل منه، وما أدبر، وصدغيه، وأذنيه مرة واحدة. قال: والعمل على هذا عند أكثر أهل العلم من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم ومن بعدهم (سنن الترمذي ح ٣٤)، وفي تحفة الأحوذي: قال في شرح السنة اختلفوا في تكرار المسح هل هو سنة أم لا، فالأكثر على أنه يمسح مرة واحدة، ومنهم الأئمة الثلاثة. (تحفة الأحوذي للمباركفوري ١/١١٤).

وحديث جابر رضي الله عنه (في ترك الوضوء مما مست النار) قال: خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنا معه، فدخل على امرأة من الأنصار، فذبحت له شاة، فأكل، وأتته بقناع من رطب فأكل منه، ثم توضأ للظهر وصلى ثم انصرف فأتته بعلالة من علالة الشاة، فأكل، ثم صلى العصر ولم يتوضأ، ثم قال: والعمل على هذا عند أكثر أهل العلم من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم والتابعين ومن بعدهم مثل سفيان، وابن المبارك

والشافعي، وأحمد، وإسحاق: رأوا ترك الوضوء مما مست النار، وهذا آخر الأمرين من رسول الله صلى الله عليه وسلم... (ح ٨٠)

قال المباركفوري: والظاهر الراجح ما ذهب إليه أكثر أهل العلم (تحفة الأحوذي ١/ ٢١٧)، ومن ذلك المسح على الجوربين عند الوضوء، فقد اختلف أهل العلم في جواز ذلك، وأباح الحنابلة المسح عليه بشرطين:

١ - أن يكون صفيقًا لا يبدو منه شيء من القدم.

٢ - أن يمكن متابعة المشي فيه، وأن يثبت بنفسه.

ودليلهم ما روي من إباحة المسح على الجوربين عن تسعة من الصحابة: علي، عمار، ابن مسعود، وأنس، وابن عمر، والبراء، وبلال، وابن أبي أوفى، وسهل بن سعد، وبه قال جماعة من مشاهير التابعين (انظر الفقه الإسلامي وأدلته د. وهبة الزحيلي ١/ ٤٩٩).

فائدة في المسح على الجوربين: حديث المغيرة بن شعبة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم مسح على الجوربين والنعلين (سنن النسائي والترمذي وأبي داود وأحمد وغيرهم) ورواه ابن ماجة عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه، والحديث اختلف أهل العلم في صحته فأعله بعض أهل العلم كالدارقطني في العلل، وعبد الرحمن بن مهدي، والنووي وغيرهم، وقال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح، وهو قول غير واحد من أهل العلم، وبه يقول سفيان الثوري وابن المبارك والشافعي وأحمد وإسحاق قالوا: يمسح على الجوربين وإن لم تكن نعلين إذا كانا ثخينين. (سنن الترمذي ح ٩٩).

وقال الألباني: وثبت عنه صلى الله عليه وسلم أنه مسح على الجوربين وهو حديث صحيح ومن أعله فلا حجة له. (انظر الثمر المستطاب في فقه السنة والكتاب ص ١٥).

وللشيخ جمال الدين القاسمي رسالة باسم: المسح على الجوربين والنعلين في إثبات صحة الأحاديث الواردة في المسح على الجوربين قدم لها الشيخ أحمد شاكر، وحققها الشيخ الألباني يرحمهم الله جميعًا، ومن الذين صححوا الحديث ابن حبان، ومن المتأخرين ابن التركماني وأحمد شاكر في تعليقه على سنن الترمذي، وقال الأرناؤوط في المسند: إن المسح على الجوربين إنما ثبت من أحاديث أخر أصحها حديث ثوبان. انظر مسند أحمد بتحقيق الأرناءوط ٣٠/ ١٤٤ - ١٤٨).

٣- استصحاب أصل أو قاعدة:

عندما لا يوجد في المسألة نص بخصوصها، ولا دليل عام تندرج تحته، فيرجح العلماء باستخدام قاعدة من القواعد الأصولية أو الفقهية مثل قاعدة " المشقة تجلب التيسير " أو سد الذرائع أو غير ذلك؛ فيرجح العالم في المسألة بإعمال هذه القواعد، لكن - أيضاً - يحذر من توسع بعض طلبة العلم في الفتوى وفقًا لإعمال هذه القواعد دون الرجوع إلى الأدلة والبحث فيها ودون الرجوع إلى كلام أهل العلم المتخصصين فقد يؤدي هذا إلى التضييق على الناس في أمر، ربما يكون لهم فيه سعة، وخاصة في أمور المعاملات المعاصرة، كالبورصات، والبنوك الإسلامية، وغير ذلك.

عندما لا يوجد في المسألة نص بخصوصها، ولا دليل عام تندرج تحته، فيرجح العلماء باستخدام قاعدة من القواعد الأصولية أو الفقهية ؛ فيرجح العالم في المسألة بإعمال هذه القواعد .

فالترجيح باستصحاب أصل أو قاعدة من القواعد يحتاج إلى سعة علم وتمكن، وكيفية تنزيل القاعدة على المسألة ، فإن التشدد في كل المسائل ليس دليلاً على التمكن من العلم، فقد قيل: كل أحد يستطيع أن يتشدد ولا يترخص إلا عالم. مع التنبيه إلى أن الأصل في الترجيح هو استصحاب الدليل، ولكن استصحاب الدليل لا يمنع من استصحاب مرجّح من هذه المرجحات التي أشرنا إلى بعضها.

وللحديث بقية إن شاء الله
والحمد لله رب العالمين.

ماذا بعد رمضان؟

إعداد **صلاح نجيب الدق**

الْحَمْدُ لِلَّهِ الكريم المنان، ذي الفضل والإحسان، الذي هدانا للإيمان، والصلاة والسلام على نبينا محمد، الذي أرسله الله هادياً ومبشراً ونذيراً، وداعياً إليه بإذنه وسراجاً منيراً.

أما بعد: فإن المسلم العاقل الذي استثمر وقته وماله في طاعة الله في شهر رمضان يجب أن يسأل نفسه سؤالاً هاماً:

ماذا بعد شهر رمضان؟

اعلم أخي الحبيب: أن الله تعالى جعل أبواب الحسنات سهلة وميسرة طوال العام؛ فالسعيد من سارع إليها لينهل منها ما شاء من الحسنات من أجل ذلك أحببت أن أذكر نفسي وإخواني الكرام ببعض أبواب الخير بعد رمضان، فأقول وبالله التوفيق:

(١) المحافظة على صلاة الفرائض جماعة في المساجد:

إن المسلم الذي اعتاد على المساجد في رمضان يجب عليه أن يستمر على هذه العادة المباركة، وليعلم أنها باب عظيم من أبواب الحسنات، واعلم أخي الكريم أن صلاة الجماعة في المساجد واجبة على كل مسلم ذكر بالغ عاقل قادر على الذهاب إلى المسجد ولو بمساعدة الآخرين.

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «صَلاةُ الْجَمَاعَةِ تَفْضُلُ صَلاةَ الْفَذِّ بِسَبْعٍ وَعِشْرِينَ دَرَجَةً». (البخاري حديث ٦٤٥).

وتَذكرَ أخي الكريم: أن خطواتك إلى المسجد لأداء الصلوات المفروضة حسنات لك يوم القيامة، فاحرص عل إقامتها في مسجد تُقامُ فيه السُّنة.

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ تَطَهَّرَ فِي بَيْتِهِ ثُمَّ مَشَى إِلَى بَيْتٍ مِنْ بُيُوتِ اللَّهِ لِيَقْضِيَ فَرِيضَةً مِنْ فَرَائِضِ اللَّهِ كَانَتْ خَطْوَتَاهُ إِحْدَاهُمَا تَحُطُّ خَطِيئَةً وَالأُخْرَى تَرْفَعُ دَرَجَةً». (مسلم ٦٦٦).

(٢) المواظبة على قيام الليل:

الصلاة صلة بين العبد وربه فإذا كان المسلم قد اعتاد على صلاة التراويح وأحيا العشر الأواخر من رمضان كان من السهل عليه أن يحافظ على صلاة الليل بعد رمضان. ففي الليل يخلو المسلم بربه سبحانه وتعالى فيستغفره ويطلب من الله ما أراد من حوائج الدنيا والآخرة. فإذا كنت أخي الكريم لا تستطيع أن تقوم في آخر الليل فاجعل لنفسك ركعات قبل أن تنام، واعلم أن قيام الليل هو دأب الصالحين المخلصين لله تعالى.

قال الله تعالى: (تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ) (السجدة: ١٦).

وقال سبحانه: (إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ (١٥) ءَاخِذِينَ مَآ ءَاتَىٰهُمْ رَبُّهُمْ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَبْلَ ذَٰلِكَ مُحْسِنِينَ (١٦) كَانُوا۟ قَلِيلًا مِّنَ ٱلَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ (١٧) وَبِٱلْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ (١٨) وَفِىٓ أَمْوَٰلِهِمْ حَقٌّ لِّلسَّآئِلِ وَٱلْمَحْرُومِ) (الذاريات: ١٥: ١٩).

عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ يَقُومُ مِنْ اللَّيْلِ حَتَّى تَتَفَطَّرَ قَدَمَاهُ، فَقَالَتْ عَائِشَةُ: لِمَ تَصْنَعُ هَذَا يَا رَسُولَ اللَّهِ وَقَدْ غَفَرَ اللَّهُ لَكَ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ قَالَ: «أَفَلا أُحِبُّ أَنْ أَكُونَ عَبْدًا شَكُورًا». فَلَمَّا كَثُرَ لَحْمُهُ صَلَّى جَالِسًا فَإِذَا أَرَادَ أَنْ يَرْكَعَ قَامَ فَقَرَأَ ثُمَّ رَكَعَ. (البخاري حديث ٤٨٣٦، مسلم حديث ٢٨٢٠).

وعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ سَلامٍ رضي الله عنه أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: أَيُّهَا النَّاسُ أَفْشُوا السَّلامَ وَأَطْعِمُوا الطَّعَامَ وَصَلُّوا وَالنَّاسُ نِيَامٌ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ بِسَلامٍ. (صحيح الترمذي للألباني حديث ٢٠١٩).

(٣) الإكثار من الدعاء في السراء والضراء:

إن المسلم الذي اعتاد الدعاء عند الإفطار وفي أيام وليالي شهر رمضان ينبغي له أن يواظب على الدعاء في باقي أيام العام، وليعلم العبد المسلم أن الله تعالى لا يرد دعوة عباده المخلصين في السراء والضراء.

قال الله تعالى: (وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا۟ لِى وَلْيُؤْمِنُوا۟ بِى لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ) (البقرة: ١٨٩).

وقال جل شأنه: (أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَآءَ ٱلْأَرْضِ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ) (النمل: ٦٢).

وقال سبحانه أيضاً: (وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِىٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِى سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ) (غافر: ٦٠)

عَنْ النُّعْمَان بْن بَشِير رضي الله عنهما عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى الله عَلَيْه وَسَلَّمَ قَالَ: «الدُّعَاءُ هُوَ الْعِبَادَةُ» (صحيح أبي داود للألباني حديث ١٣١٢).

وعَنْ أبي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ الله صَلَّى الله عَلَيْه وَسَلَّمَ قَالَ: «أَقْرَبُ مَا يَكُونُ الْعَبْدُ مِنْ رَبِّه وَهُوَ سَاجِدٌ فَأَكْثِرُوا الدُّعَاءَ». (مسلم حديث ٤٨٢).

(٤) تلاوة القرآن وحفظه:

أيها المسلم الحبيب، يا من اعتدت على تلاوة القرآن وحفظ بعض منه في رمضان، اجعل هذا العمل عادة تسير عليها في باقي العام، اجعل لنفسك نصيباً من القرآن تقرأه كل يوم، وحاول أن تحفظ من القرآن ما تستطيع.

قال سبحانه: (إِنَّ ٱلَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَٰبَ ٱللَّهِ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنفَقُوا۟ مِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَٰرَةً لَّن تَبُورَ ﴿٢٩﴾ لِيُوَفِّيَهُمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِۦٓ إِنَّهُۥ غَفُورٌ شَكُورٌ) (فاطر: ٢٩، ٣٠).

عن أبي أُمَامَة الْبَاهِلِيّ رضي الله عنه قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ الله صَلَّى الله عليه وَسَلَّمَ يَقُولُ: «اقْرَءُوا الْقُرْآنَ فَإِنَّهُ يَأْتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ شَفِيعًا لأَصْحَابِه». (مسلم حديث٨٠٤)

وعَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعُود رضي الله عنه قال: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ قَرَأَ حَرْفًا مِنْ كتَاب الله فَلَهُ به حَسَنَةٌ وَالْحَسَنَةُ بِعَشْرِ أَمْثَالِهَا لاَ أَقُولُ: الَمَ حَرْفٌ، وَلَكِنْ أَلِفٌ حَرْفٌ، وَلاَمٌ حَرْفٌ، وَمِيمٌ حَرْفٌ». (صحيح الترمذي للألباني حديث ٢٣٢٧).

ذكر الله تعالى خفيف على اللسان وثقيل في ميزان حسنات للعبد يوم القيامة، وهو سبب عظيم لسعة الأرزاق وراحة القلوب وزوال الهموم والأحزان عن العبد.

(٥) الإكثار من الذكر والاستغفار:

إن المسلم الذي اعتاد على التوبة النصوح والاستغفار والإكثار من ذكر الله تعالى في أيام وليالي رمضان يجب أن يستمر على ذلك في باقي العام فإن ذكر الله تعالى خفيف على اللسان وثقيل في ميزان حسنات للعبد يوم القيامة، وهو سبب عظيم لسعة الأرزاق وراحة القلوب وزوال الهموم والأحزان عن العبد.

وليحذر المسلم أن يكون غافلاً عن ذكر الله تعالى.

قال الله تعالى (وَٱذْكُر رَّبَّكَ فِى نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً وَدُونَ ٱلْجَهْرِ مِنَ ٱلْقَوْلِ بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْآصَالِ وَلَا تَكُن مِّنَ ٱلْغَٰفِلِينَ) (الأعراف٢٠٥).

وقال سبحانه: (يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا ﴿٤١﴾ وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا) (الأحزاب: ٤١، ٤٢).

وقال جل شأنه: (ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ ٱللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ) (الرعد: ٢٨).

عن ابْنِ عُمَرَ رضي الله عنهما قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهِ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «يَا أَيُّهَا النَّاسُ، تُوبُوا إِلَى الله فَإِنِّي أَتُوبُ في الْيَوْمِ إِلَيْهِ مِائَةَ مَرَّةٍ». (مسلم حديث٢٧٠٢).

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ الله عَنْهُ قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «يَقُولُ الله تَعَالَى: أنا عِنْد ظَنِّ عَبْدي بِي وَأَنَا مَعَهُ إذا ذَكَرَني، فَإنْ ذَكَرَني في نَفْسه، ذَكَرْتُهُ في نَفْسي، وَإنْ ذَكَرَني في مَلأ، ذَكَرْتَه في مَلأ خَيْرٍ منْهُمْ، وَإنْ تَقَرَّبَ إلَيَّ بِشِبْرٍ تَقَرَّبْتُ إلَيْه ذِرَاعًا وَإنْ تَقَرَّبَ إلَيَّ ذراعًا، تَقَرَّبْتُ إلَيْه باعًا، وَإنْ أَتَاني يَمْشي أَتَيْتُهُ هَرْوَلَةً. (البخاري حديث٣٣٦٩ / مسلم حديث ٢٠٦٧).

وعن سَعْد بن أبي وقاص رضي الله عنه قَالَ: كُنَّا عِنْدَ رَسُولِ الله صَلَّى الله عَلَيْه وَسَلَّمَ فَقَالَ: «أَيَعْجِزُ أَحَدُكُمْ أَنْ يَكْسِبَ كُلَّ يَوْمٍ أَلْفَ حَسَنَةٍ؟» فَسَأَلَهُ سَائِلٌ مِنْ جُلَسَائِهِ: كَيْفَ يَكْسِبُ أَحَدُنَا أَلْفَ حَسَنَةٍ؟

قَالَ: «يُسَبِّحُ مِائَةَ تَسْبِيحَة، فَيُكْتَبُ لَهُ أَلْفُ حَسَنَة، أَوْ يُحَطُّ عَنْهُ أَلْفُ خَطِيئَة». (مسلم حديث ٢٦٩٨).

(٦) الانقياد لحكم الله تعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم.

إن المسلم الذي اعتاد أن ينقاد لشرع الله تعالى في رمضان بامتناعه عن المباح من الطعام والشراب والشهوة من طلوع الفجر إلى غروب الشمس، من السهل عليه أن ينقاد لأوامر الله تعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم في باقي أمور حياته، فإن في ذلك سعادته في الدنيا والآخرة، وليحذر كل مسلم من مخالفة كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم.

> إن المسلم الذي اعتاد أن ينقاد لشرع الله تعالى في رمضان بامتناعه عن المباح من الطعام والشراب والشهوة من طلوع الفجر إلى غروب الشمس، من السهل عليه أن ينقاد لأوامر الله تعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم في باقي أمور حياته.

قال الله تعالى: (وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًا مُّبِينًا) (الأحزاب: ٣٦).

وقال سبحانه: (وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ) (الحشر: ٧).

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ الله صَلَّى اللهِ عَلَيْه وَسَلَّم قَالَ: «كُلُّ أُمَّتِي يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ إلا مَنْ أَبَى» قَالُوا: يَا رَسُولَ الله وَمَنْ يَأْبَى؟ قَالَ: «مَنْ أَطَاعَنِي دَخَلَ الْجَنَّةَ، وَمَنْ عَصَانِي فَقَدْ أَبَى».) البخاري حديث ٧٢٨).

وعَنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللَّه صَلَّى اللَّهَ عَلَيْه وَسَلَّمَ(مَنْ أَحْدَثَ في أَمْرِنَا هَذَا مَا لَيْسَ مِنْهُ فَهُوَ رَدٌّ.)البخاري حديث ٢٦٩٧، ومسلم حديث ١٧١٨)

وتذكر أخي الكريم أن لقبول الأعمال الصالحة عند الله تعالى شرطين:

الأول: إخلاص العمل لله تعالى وحده.

والثاني: متابعة النبي صلى الله عليه وسلم عند القيام بهذا العمل.

فإذا فقد أحد هذين الشرطين، فإن هذا العمل لا يقبله الله تعالى.

(٧) صيام النوافل:

اعلم أخي المسلم الحبيب أنك مطالب بالمداومة على طاعة الله تعالى، والاستمرار في الحرص على تزكية نفسك، ومن أجل هذه التزكية شرع الله تعالى لك العبادات وبقدر حرصك على هذه الطاعات تكون تزكيتك لنفسك، وبقدر تفريطك في الطاعات يكون بعدك عن هذه التزكية، ولذا فإن أهل الطاعات الخالصة لوجه الله تعالى هم أرق الناس قلوباً وأكثرهم صلاحًا.

وأما أهل الذنوب والمعاصي فهم أغلظ الناس قلوباً وأشدهم فساداً.

والصوم من تلك العبادات التي تطهر قلوب الناس من أمراضها؛ ولذا فإن شهر رمضان موسم لطهارة القلب وتلك فائدة عظيمة يجنيها الصائم ليخرج من رمضان بقلب جديد مملوء بالإيمان والحرص على الطاعات وصيام الأيام الست من شوال بعد رمضان فرصة عظيمة حيث يقف المسلم على باب طاعة أخرى تقربه إلى الله تعالى.

فضل صوم الأيام الست من شوال:

عَنْ أَبِي أَيُّوبَ الأَنْصَارِيِّ رَضِيَ اللَّه عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّه صَلَّى اللَّه عَلَيْه وَسَلَّمَ قَالَ: «مَنْ صَامَ رَمَضَانَ ثُمَّ أَتْبَعَهُ سِتًّا مِنْ شَوَّالٍ كَانَ كَصِيَامِ الدَّهْرِ» (مسلم حديث ١١٦٤).

قال الإمام النووي ـ رحمه الله ـ تعليقاً على هذا الحديث: قَالَ الْعُلَمَاء وَإِنَّمَا كَانَ ذَلِكَ كَصِيَامِ الدَّهْر؛ لأَنَّ الْحَسَنَةَ بِعَشْرِ أَمْثَالهَا، فَرَمَضَانُ بِعَشَرَةِ أَشْهُرٍ، وَالسِّتَّةُ بِشَهْرَيْنِ، وَقَدْ جَاءَ هَذَا في حَدِيث مَرْفُوع في كِتَاب النَّسَائِيِّ. (مسلم بشرح النووي جـ٤ صـ٣١٢).

صفة صوم الأيام الست من شوال:

قَالَ الإمام النووي قَالَ أَصْحَابنَا (علماء الشافعية): وَالأَفْضَل أَنْ تُصَامَ السِّتَّةُ مُتَوَالِيَةً عَقِبَ يَوْم الْفِطْر، فَإِنْ فَرَّقَهَا أَوْ أَخَّرَهَا عَنْ أَوَائِل شَوَّالٍ إِلَى أَوَاخِره حَصَلَتْ فَضِيلَة الْمُتَابَعَة؛ لأَنَّهُ يَصْدُقُ أَنَّه أَتْبَعَهُ سِتًّا مِنْ شَوَّال. (مسلم بشرح النووي جـ٤ صـ٣١٣).

(٨) الإنفاق في وجوه الخير ومساعدة الفقراء:

قال تعالى: (مَّثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنۢبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِى كُلِّ سُنۢبُلَةٍ مِّا۟ئَةُ حَبَّةٍ وَٱللَّهُ يُضَٰعِفُ لِمَن يَشَآءُ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ) (البقرة: ٢٦١).

وقال سبحانه: (وَمَآ أَنفَقْتُم مِّن شَىْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُۥ وَهُوَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ) (سبأ: ٣٩).

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّه عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّه صَلَّى اللَّه

عَلَيْه وَسَلَّمَ قَالَ: قَالَ اللَّهُ: أَنْفقْ يَا ابْنَ آدَمَ أُنْفقْ عَلَيْكَ. (البخاري حديث ٥٣٥٢)

وعَنْ أَبي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّه عَلَيْه وَسَلَّمَ: السَّاعِي عَلَى الْأَرْمَلَة وَالْمسْكين كَالْمُجَاهد فِي سَبيل اللَّه أَوْ الْقَائم اللَّيْلَ الصَّائم النَّهَارَ. (البخاري حديث ٥٣٥٣).

(٩) الصدق وحفظ اللسان والجوارح عن محارم الله تعالى:

قال الله تعالى: (يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَكُونُوا۟ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ) (التوبة: ١١).

عَنْ عَبْدِ اللَّه بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّه عَلَيْه وَسَلَّمَ قَالَ: «إِنَّ الصِّدْقَ يَهْدِي إِلَى الْبِرِّ وَإِنَّ الْبِرَّ يَهْدِي إِلَى الْجَنَّة وَإِنَّ الرَّجُلَ لَيَصْدُقُ حَتَّى يَكُونَ صِدِّيقًا وَإِنَّ الْكَذِبَ يَهْدِي إِلَى الْفُجُورِ وَإِنَّ الْفُجُورَ يَهْدِي إِلَى النَّارِ وَإِنَّ الرَّجُلَ لَيَكْذِبُ حَتَّى يُكْتَبَ عِنْدَ اللَّه كَذَّابًا» (البخاري حديث ٦٠٩٤، ومسلم حديث ٢٦٠٧).

قال تعالى: (يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱجْتَنِبُوا۟ كَثِيرًا مِّنَ ٱلظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ ٱلظَّنِّ إِثْمٌ وَلَا تَجَسَّسُوا۟ وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ إِنَّ ٱللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ) (الحجرات: ١٢).

وعَنْ حُذَيْفَةَ رضي الله عنه قال: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّه صَلَّى اللَّه عَلَيْه وَسَلَّمَ يَقُولُ: «لا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ نَمَّامٌ». (مسلم حديث ١٠٥).

(١٠) صلة الأرحام:

إذا كانت الأرحام موصولة في شهر رمضان فيجب على المسلم أن يواظب على صلة الأرحام باقي العام وليعلم أن الله قد وصانا بالأرحام خيراً وهي سبب من أسباب سعة الأرزاق.

قال الله تعالى: (يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا). (النساء: ١)

عَنْ أَنَس بْنِ مَالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّه صَلَّى اللَّه عَلَيْه وَسَلَّمَ يَقُولُ: مَنْ سَرَّهُ أَنْ يُبْسَطَ لَهُ فِي رِزْقه أَوْ يُنْسَأَ لَهُ فِي أَثَرِه فَلْيَصِلْ رَحِمَهُ. (البخاري حديث ٥٩٨٦، ومسلم حديث ٢٥٥٧).

عَنْ عَائشَةَ رضي الله عنها قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللَّه صَلَّى اللَّه عَلَيْه وَسَلَّمَ: «الرَّحِمُ مُعَلَّقَةٌ بِالْعَرْشِ تَقُولُ مَنْ وَصَلَنِي وَصَلَهُ اللَّه وَمَنْ قَطَعَنِي قَطَعَهُ اللَّه». (البخاري حديث ٥٩٨٩، ومسلم حديث ٢٥٥٥).

(١١) احذر أن تكون رمضانياً فقط:

إن المتأمل لأحوال الناس في العبادة يجد أن الكثير منهم يجتهدون في العبادة في شهر رمضان فقط فإذا انقضى رمضان عادوا إلى حياتهم العادية من اللهو والتهاون والتقصير في جميع العبادات كأن رب رمضان ليس هو رب سائر الشهور فنرى كثيراً من الناس يهجرون الصلاة في المساجد ويبخلون بالصدقات، ولا يصومون شيئاً من النوافل ويبتعدون عن محاسن الأخلاق. قيل لبشر الحافي: إن قوماً يتعبدون ويجتهدون في رمضان. فقال: بئس القوم قومٌ لا يعرفون لله حقاً إلا في شهر رمضان، إن الصالح الذي يتعبد ويجتهد السَّنة كلها. (لطائف المعارف لابن رجب ص ٣٩٦).

وقد حذرنا الله تعالى أن نكون من الذين يجتهدون في العبادة في رمضان فقط حيث قال سبحانه: (وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّتِى نَقَضَتْ غَزْلَهَا مِنۢ بَعْدِ قُوَّةٍ أَنكَٰثًا تَتَّخِذُونَ أَيْمَٰنَكُمْ دَخَلًۢا بَيْنَكُمْ أَن تَكُونَ أُمَّةٌ هِىَ أَرْبَىٰ مِنْ أُمَّةٍ إِنَّمَا يَبْلُوكُمُ ٱللَّهُ بِهِۦ وَلَيُبَيِّنَنَّ لَكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ مَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ) (النحل: ٩٢).

إن المتأمل لأحوال الناس في العبادة يجد أن الكثير منهم يجتهدون في العبادة في شهر رمضان فقط فإذا انقضى رمضان عادوا إلى حياتهم العادية من اللهو والتهاون والتقصير في جميع العبادات كأن رب رمضان ليس هو رب سائر الشهور.

قال ابن كثير: قال مجاهد، وقتادة، وابن زيد: هذا مثل لمن نقض عهده بعد توكيده. (تفسير ابن كثير جـ٨ صـ٣٤٩).

عَنْ عَبْد اللَّه بْن سَرْجِسَ قَالَ كَانَ رَسُولُ اللَّه صَلَّى اللَّه عَلَيْه وَسَلَّمَ يَقُولُ: اللَّهُمَّ إني أَعُوذُ بكَ منْ الْحَوْرِ بَعْدَ الْكَوْرِ. (حديث صحيح) صحيح ابن ماجه للألباني حديث ٣١٣٦)

قال ابن الأثير: قوله: اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ الْحَوْرِ بَعْدَ الْكَوْرِ. أي: نعوذ بالله من النُّقصان بَعْد الزِّيادة. وقيل من فساد أمورنا بعد صَلاحها. وقيل من الرُّجُوع عن الجماعة بَعْد أن كُنَّا منهم. وأصله من نَقْض العمامة بعد لَفِّها. (النهاية لابن الأثير جـ١ صـ٤٥٨).

والحمد لله رب العالمين.

باب الاقتصاد الإسلامي

الحلقة الأولى

حكم التورق

الحمد لله كما ينبغي لجلال وجهه وعظيم سلطانه، والصلاة والسلام على خير الرسل، وعلى آله وصحبه ومن اهتدى بهديه إلى يوم الدين. وبعدُ:

شاع في عصرنا أن العينة هي الشراء بثمن مؤجل، ويقوم المشتري ببيع ما اشتراه للبائع نفسه بثمن أقل نقدًا، فإن باع لغير البائع فليس من العينة وإنما هو تورق.

إعداد **د. علي السالوس**

وعلمت منذ سنوات أن سماحة الشيخ عبد العزيز بن باز رحمه الله رحمة واسعة أفتى بحل التورق، فشددت الرحال إليه، وتحدثت معه في هذا الموضوع، ومما ذكرته لفضيلته ما قاله شيخ الإسلام ابن تيمية وتلميذه ابن القيم في تحريم التورق، إلى جانب أقوال جمهور الأئمة الأعلام.

ثم فوجئت بعد ذلك بقرار لمجمع الرابطة الموقر بأن التورق جائز شرعًا، وبه قال جمهور العلماء، فتحدثت مع سعادة الأمين العام بضرورة إعادة النظر في هذا القرار، وبحث الموضوع من جديد، فيبدو أن الأبحاث قد قُدمت للمَجْمَع آنذاك لم تكن دقيقة، ولم يحضر تلك الدورة إلا تسعة فقط من أصحاب الفضيلة أعضاء المجمع، ومنهم من عارض كفضيلة الشيخ القرضاوي، وما ثبت عن الإمامين مالك وأحمد وغيرهما من جمهور العلماء هو عدم جواز التورق وليس الجواز.

والتورق بهذا المعنى هو العينة عند الأئمة الأربعة، ومن جاء بعدهم ببضعة قرون، ولعل شيخ الإسلام ابن تيمية هو أول من ذكر هذا التورق، ثم جاء في أقوال الحنابلة من بعده.

ولقد سعدت عندما تلقيت الدعوة الكريمة من فضيلة أمين عام المجمع لبحث موضوع التورق، فرأيت أن يكون العنوان العينة والتورق، والتورق المصرفي.

وعرض الموضوع ونُوقش مع غيره من الأبحاث، وانتهى المجمع إلى أن التورق المصرفي من الربا المحرم.

وفي ضوء المناقشات التي دارت، والأبحاث التي قُدمت، رأيت إعادة النظر في الموضوع، وبحثه من جديد، مقتصرًا على التمويل بالتورق، ومناقشة الأبحاث التي أحلته، وعلى الأخص أن منها ما أجاز قلب الدَّيْن (وقلب الدين: مصطلح فقهي ورد ذكره في مصنفات شيخ الإسلام ابن تيمية وتلميذه ابن القيم الجوزية، ولم يعرف استعماله بهذه التسمية على لسان أحد من الفقهاء قبل ذلك أو بعده وله عدة معان أشهرها أنه ربا نسيئة)، وهذا يعني تحليل أشد أنواع الربا تحريمًا، تطبيقًا للقاعدة الجاهلية: «إما أن تَقضي وإما أن تُربي».

وقسمت الموضوع إلى سبعة مباحث:

المبحث الأول: التورق في اللغة.
المبحث الثاني: التورق عند الحنفية.
المبحث الثالث: التورق عند المالكية.
المبحث الرابع: التورق عند الشافعية.
المبحث الخامس: التورق عند الحنابلة.
المبحث السادس: التمويل بالتورق.
المبحث السابع: المناقشة والترجيح.

نسأل الله أن يرينا الحلال حلالا ويرزقنا اتباعه، والحرام حرامًا ويرزقنا اجتنابه.

التورق في اللغة:

وقبل الكلام عن التورق في اللغة نذكر المعنى اللغوي للعينة لمعرفة العلاقة بينهما.

جاء في لسان العرب في مادة «عين»: اعتان الرجل إذا اشترى بنسيئة، وعين التاجر: أخذ بالعينة أو أعطى بها.

والعينة: الربا، والسلف، وإذا باع من رجل سلعة بثمن معلوم إلى أجل معلوم، ثم اشتراها منه بأقل من الثمن الذي باعها به.

وسميت عينة لحصول النقد لطالب العينة، وذلك أن العينة اشتقاقها من العين، وهو النقد الحاضر ويحصل له من فوره، والمشتري إنما يشتريها ليبيعها بعين حاضرة تصل إليه معجلة.

وجاء في لسان العرب تحت مادة «ورق»: الورَق: من أوراق الشجر والكتاب، والواحدة ورقة.

وقد ورَقت الشجرة توريقًا وأورقت إيراقًا: أخرجت ورقها.

والرِّقة: أول خروج الصِّليان والنصيِّ والطريفة رطبا.

والرِّقة أيضًا: رقة الكلأ: إذا خرج له ورق.

وتورقت الناقة: إذا رعت الرقة.

والوَرِق والوِرْق والوَرْق والرِّقة: الدراهم.

وفي الصحاح: الورِق: الدراهم المضروبة، وكذلك الرِّقة.

وفي الحديث في الزكاة: في الرِّقة ربع العشر.

وفي حديث آخر: عفوت لكم عن صدقة الخيل والرقيق، فهاتوا صدقة الرقة؛ يريد الفضة والدراهم المضروبة منها.

والمستورق: الذي يطلب الورق.

هذا ما وجدناه في كتب اللغة، ولكن شاع في عصرنا أن العينة هي أن يشتري بثمن مؤجل، ثم يبيع المشتري ما اشتراه للبائع نفسه بأقل منه نقدًا.

وأن المشتري إذا باع ما اشتراه بنسيئة بثمن أقل نقدًا لغير البائع الذي اشترى منه فهو تورق.

فمن أين جاءت هذه التسمية وهذه التفرقة؟

ما نقلته آنفًا من كتب اللغة، وما قرأته لغيري من نقول من كتب اللغة، لم يرد فيه التورق بهذا المعنى!

وإنما هذا المعنى يدخل ضمن العينة أو الزرنقة، وهذا واضح كما جاء في اللسان، وفي النهاية: ثم يبيعه منه أو من غيره.

ومن معاني العينة أو الزرنقة الشراء بنسيئة، أو الشراء بنسيئة مع زيادة الثمن، وذلك دون بيع ما اشتراه.

ويحمل على هذا المعنى ما نُسب لأمير المؤمنين علي رضي الله عنه: لا أدع الحج ولو تزرنقت؛ أي: ولو أخذت الزاد بالعينة، أي: بالأجل، فهو يشتري الزاد ليحج وليس ليبيعه.

وكذلك ما نُسب لأم المؤمنين السيدة عائشة رضي الله عنها أنها كانت تأخذ الزرنقة، وقول ابن المبارك: لا بأس بالزرنقة، أي الشراء لأجل كما جاء في المجموع المغيث، حيث جاء تفسير الزرنقة بعد ذكر قول ابن المبارك، ومما ذكر من معاني العينة أيضًا: الربا والسلف.

إذن التورق في اللغة يدخل ضمن معاني العينة، ولا ينفصل عنها.

التفرقة بين التورق والعينة:

غير أن الذين أباحوا التورق في عصرنا يرون التفرقة بين التورق والعينة في اللغة وفي الاصطلاح.

قال د. محمد القري: الورق في اللغة - بكسر الراء والإسكان - هي الدراهم من الفضة.

والتورق: طلب الورق أي الدراهم.

وفي الاصطلاح الفقهي: التورق هو شراء سلعة ليبيعها إلى آخر غير بائعها الأول للحصول على النقد. (ص: ٣ من بحثه).

وقال الشيخ عبد الله المنيع: التورق: طلب الورق، ومثله في الطلب التفقه والتعلم والترفق، والورق هو النقد من الفضة.

قال في تاج العروس: الورق الدراهم المضروبة كما في الصحاح.

وقال أبو عبيدة: الورق الفضة كانت مضروبة كالدراهم أو لا؛ ومن ذلك قوله تعالى: «فَٱبْعَثُوٓا۟ أَحَدَكُم بِوَرِقِكُمْ هَٰذِهِۦٓ إِلَى ٱلْمَدِينَةِ» [الكهف: ١٩]،

أي: بدراهمكم.

ثم قال: فأصل التورق طلب النقود من الفضة؛ ثم تحول المفهوم إلى طلب النقد، سواء أكان فضة أم كان ذهبًا أم كان عملة ورقية، فبقي أصل اللفظ، وصار التوسع في مدلوله تبعًا للتوسع في مفهوم النقد.

أما المفهوم الاصطلاحي: فهو تصرُّف المحتاج للنقد تصرفا يبعده من الصيغ الربوية، ويمكنه من تغطية حاجته النقدية وذلك بأن يشتري سلعة قيمتها مقاربة لمقدار حاجته النقدية مع زيادة في ثمنها لقاء تأجيل دفع قيمتها، ثم يقوم ببيعها بثمن حالّ ليغطي بذلك الثمن حاجته القائمة، وبشرط ألا يبيعها على من اشتراها منه. [ص: ٥ من بحثه].

وجاء تحت كلمة تورق في الموسوعة الفقهية الكويتية:

التورق في الاصطلاح: أن يشتري سلعة نسيئة، ثم يبيعها نقدًا- لغير البائع- بأقل مما اشتراها به، ليحصل بذلك على النقد.

ولم ترد التسمية بهذا المصطلح إلا عند فقهاء الحنابلة، أما غيرهم فقد تكلموا عنها في مسائل «بيع العينة».

وفي الألفاظ ذات الصلة جاء بعد ما سبق: العينة لغة: السلف.

واصطلاحًا: أن يبيع سلعة نسيئة، ثم يشتريها البائع نفسه بثمن حالّ أقل منه.

ولا صلة بين التورق وبين العينة إلا في تحصيل النقد الحالّ فيهما، وفيما وراءه متباينان؛ لأن العينة لا بد فيها من رجوع السلعة إلى البائع الأول بخلاف التورق، فإنه ليس فيه رجوع العين إلى البائع، إنما هو تصرف المشتري فيما ملكه كيف شاء. اهـ.

وجاء في الموضوع نفسه من الموسوعة الكويتية عن حكم التورق: جمهور العلماء على إباحته، سواء من سماه تورقًا وهم الحنابلة، أو من لم يسمه بهذا الاسم وهم من عدا الحنابلة.

وجاء في الحاشية: نقل الفيومي الاتفاق على جوازه. اهـ.

وما جاء في الموسوعة اعتمد عليه الكثير ممن أجاز التورق وكتب عنه.

ونقل الدكتور محمد الشريف قول الأزهري: الزرنقة: هو أن يشتري الرجل سلعة بثمن إلى أجل، ثم يبيعها من غير بائعها بالنقد، وهذا جائز عند جميع الفقهاء.

ونقل قول ابن المبارك رحمه الله: لا بأس بالزرنقة. (ص: ٣).

وقال الدكتور القري: قد روي أن عائشة رضي الله عنها تورقت، فقد أورد الأزهري في كتابه الزاهر أنها رضي الله عنها كانت تأخذ من معاوية عطاءها عشرة آلاف درهم، وتأخذ الزرنقة من ذلك، وهي العينة الجائزة. (ص: ٤).

وقال الدكتور علي القرة داغي: ذهب جمهور الفقهاء إلى إباحة التورق، لكن الحنابلة سموا هذا النوع بهذا الاسم، أما بقية المذاهب الأربعة لم يرد فيها هذا الاسم، لكنه بالرجوع إلى مصادرهم لا نرى فيها الإشارة إلى حرمة هذا النوع من البيوع، بل يظهر بوضوح أنهم يبيحونها. (ص: ٢).

وقال الشيخ محمد تقي العثماني: المختار في جميع هذه المذاهب جواز التورق، غير أنه يوجد عند الحنابلة والحنفية قول بالكراهة.

فالكراهة رواية عن الإمام أحمد، واختارها ابن تيمية وتلميذه ابن القيم رحمهم الله تعالى، وكذلك ذكر الكراهية بعض المتأخرين من الحنفية مثل الحصكفي (ت٥٥١)، صاحب الدر المختار، وحمل عليه قول الإمام محمد رحمه الله تعالى.

أما المالكية فلم أجد عندهم ذكر التورق صراحة، ولكنهم اشترطوا لكراهة العينة أن تباع السلعة إلى البائع الأول، فخرج منها التورق (ص١٣- ١٤).

ولبيان حكم التورق كما جاء في الموسوعة ومناقشة هذا الرأي والرد عليه نترك ذلك للحلقة القادمة إن شاء الله.

صلى الله عليه وسلم

نظرات في سيرة الرسول

في أداء العبادات أخلاق وعظات

الحلقة الأولى

إعداد **جمال عبد الرحمن**

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله، وبعدُ: فقد أعلن رسول الله صلى الله عليه وسلم نيّته بالحج، وأشعر الناس بذلك حتى يصحبه من شاء. فترك المدينة أواخر ذي القعدة، بعد أن أمّر عليها في غيابه: أحد الصالحين من أصحابه. والحجّ هذه المرة جاء مغايرا لما ألِفته العرب أيام جاهليتها: انتهت العهود المعطاة للمشركين، وحُظِر عليهم أن يدخلوا المسجد الحرام. فأصبح أهل الموسم- قاطبة- من الموحّدين، الذين لا يعبدون مع الله شيئا، وأقبلت وفود الله من كلّ صوب، تُيَمِّم وجهها شطر البيت العتيق، وهي تعلم أنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم هو في هذا العام أمير حجهم ومعلمهم مناسكهم!!.

ونظر رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الألوف المؤلفة وهي تلبّي وتهرع إلى طاعة الله، فشرح صدره انقيادُها للحق، واهتداؤها إلى الإسلام، وعزم أن يغرس في قلوبهم لباب الدين، وأن ينتهز هذا التجمّع الكريم ليقول كلمات تبدّد آخر ما أبقت الجاهلية من مخلّفات في النفوس، وتؤكّد ما يحرص الإسلام على إشاعته من آداب وعلائق وأحكام. فألقى هذه الخطبة الجامعة. [فقه السيرة للغزالي ص٤٥٢- ٤٥٤].

«أيّها النّاس! اسمعوا قولي، فإنّي لا أدري لعلّي لا ألقاكم بعد عامي هذا بهذا الموقف أبدا.

أيها النّاس! إنّ دماءكم وأموالكم عليكم حرام إلى أن تلقوا ربّكم، كحرمة يومكم هذا، وكحرمة شهركم هذا، وإنّكم ستلقون ربّكم فيسألكم عن أعمالكم، وقد بلّغت.

فمن كانت عنده أمانة فليؤدّها إلى من ائتمنه عليها، وإنّ كلّ ربا موضوع، ولكن لكم رؤوس أموالكم، لا تظلمون ولا تظلمون. قضى الله أنّه لا ربا، وإنّ ربا العباس بن عبد المطّلب موضوع كلّه. وإنّ كلّ دم كان في الجاهلية موضوع، وإنّ أول دمائكم أضع دم ربيعة بن الحارث بن عبد المطلب- وكان مسترضعا في بني ليث، فقتلته هذيل- فهو أوّل ما أبدأ به من دماء الجاهليّة.

أما بعدُ: أيها الناس، إنّ الشيطان قد يئس أن يعبد في أرضكم هذه أبدا، ولكنّه إن يطع فيما سوى ذلك فقد رضي به مما تحقرون من أعمالكم، فاحذروه على دينكم!!. أيها الناس! ﴿إِنَّمَا ٱلنَّسِيٓءُ زِيَادَةٞ فِي ٱلۡكُفۡرِۖ يُضَلُّ بِهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يُحِلُّونَهُۥ عَامٗا وَيُحَرِّمُونَهُۥ عَامٗا لِّيُوَاطِـُٔواْ عِدَّةَ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ فَيُحِلُّواْ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُۚ﴾ [التوبة: ٣٧].

وإنّ الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السموات والأرض، وإنّ عدّة الشهور عند الله اثنا عشر شهرا، منها أربعة حرم، ثلاثة متوالية، ورجب الذي بين جمادى وشعبان.

أيها الناس، فإنّ لكم على نسائكم حقّا، ولهنّ عليكم حقّا. لكن عليهن ألايوطئن فرشكم أحدا تكرهونه، وعليهنّ ألايأتين بفاحشة مبيّنة؛ فإن فعلن فإنّ الله قد أذن لكم أن تهجروهنّ في المضاجع، وتضربوهنّ ضربا غير مبرّح، فإن انتهين فلهنّ رزقهنّ وكسوتهنّ بالمعروف. واستوصوا بالنساء خيرا، فإنهنّ عندكم عوان، لا يملكن لأنفسهنّ شيئا. وإنّكم إنّما أخذتموهنّ بأمانة الله، واستحللتم فروجهنّ بكلمة الله، فاعقلوا أيها الناس قولي فإنّي قد بلّغت. وقد تركت فيكم ما إن اعتصمتم به فلن تضلوا أبدا، أمرا بيّنا: كتاب الله وسنّة نبيّه.

أيها الناس: اسمعوا قولي واعقلوه، تعلمنّ أنّ كلّ مسلم أخ للمسلم، وأنّ المسلمين إخوة، فلا يحل لامرئ من أخيه إلا ما أعطاه عن طيب نفس منه، فلا تظلمنّ أنفسكم، اللهم هل بلغت؟». قالوا: اللهم نعم، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «اللهمّ اشهد». [مسلم: ١٦٧٩].

ومن خلال هذه الخطبة الجامعة، والمواقف الأخرى الذائعة، استخرجنا آدابا وعبرًا رائعة، نسوقها لأهل الإسلام، ليتأسوا فيها بنبيهم عليه الصلاة والسلام.

العبرة الأولى: عدم تكلف المشقة، ويختار الأيسر:

المرء قد يتعرض لمشقة فرضت عليه، أثناء أداء الواجب عليه، عندها يكون الأجر والثواب على قدر المشقة. لكن الصواب ألا يستجلب الإنسان على نفسه المشقة والعسر. لأنه «مَا خُيِّرَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم بَيْنَ أَمْرَيْنِ إِلَّا أَخَذَ أَيْسَرَهُمَا، مَا لَمْ يَكُنْ إِثْمًا، فَإِنْ كَانَ إِثْمًا كَانَ أَبْعَدَ النَّاسِ مِنْهُ». [صحيح البخاري ح٣٥٦٠] عن عائشة رضي الله عنها.

وفي حديث جابر بْن عَبْد الله الأَنْصَارِيُّ رَضِيَ الله عَنْهُمَا، أَنَّهُ حَجَّ مَعَ رَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وسلم عَامَ سَاقَ الْهَدْيَ مَعَهُ، وَقَدْ أَهَلُّوا بِالْحَجِّ مُفْرَدًا، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم: «أَحِلُّوا مِنْ إِحْرَامِكُمْ، فَطُوفُوا بِالْبَيْتِ وَبَيْنَ الصَّفَا وَالْمَرْوَةِ، وَقَصِّرُوا، وَأَقِيمُوا حَلَالًا حَتَّى إِذَا كَانَ يَوْمُ التَّرْوِيَةِ فَأَهِلُّوا بِالْحَجِّ، وَاجْعَلُوا الَّتِي قَدِمْتُمْ بِهَا مُتْعَةً» قَالُوا: كَيْفَ نَجْعَلُهَا مُتْعَةً وَقَدْ سَمَّيْنَا الْحَجَّ؟ قَالَ: «افْعَلُوا مَا أَمَرْتُكُمْ بِهِ، فَإِنِّي لَوْلَا أَنِّي سُقْتُ الْهَدْيَ، لَفَعَلْتُ مِثْلَ الَّذِي أَمَرْتُكُمْ بِهِ، وَلَكِنْ لَا يَحِلُّ مِنِّي حَرَامٌ، حَتَّى يَبْلُغَ الْهَدْيُ مَحِلَّهُ» فَفَعَلُوا. [صحيح مسلم ح١٢١٦]

المرء قد يتعرض لمشقة فُرِضت أثناء أداء الواجب عليه، عندها يكون الأجر والثواب على قدر المشقة. لكن الصواب ألا يستجلب الإنسان على نفسه المشقة والعسر.

وأَمْرُ النبي صلى الله عليه وسلم بأن يتحولوا من الحج المفرد إلى التمتع هو من باب التيسير عليهم أيضا، فبدلا من أن يظل المحرم على إحرامه بحيث يحظر عليه الإحرام مباحات كثيرة؛ أمرهم أن يتمتعوا بعمرة ليصيروا بعدها حلالاً لا يُحظر عليهم شيء حتى يأتي موعد الحج.

وكما أن الأجر على قدر المشقة، لكن قد تكون هذه المشقة سببا في عدم إكمال المناسك، وقد تستفرغ طاقة الحاج فلا يقوى بعد ذلك على الذكر والدعاء.

العبرة الثانية: تغيير المنكر عمليًا دون عنف وتوبيخ:

قال عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّه عَنْهُمَا،: أَرْدَفَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الفَضْلَ بْنَ عَبَّاسٍ يَوْمَ النَّحْرِ خَلْفَهُ عَلَى عَجُزِ رَاحِلَتِهِ، وَكَانَ الفَضْلُ رَجُلًا وَضِيئًا، فَوَقَفَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِلنَّاسِ يُفْتِيهِمْ، وَأَقْبَلَتِ امْرَأَةٌ مِنْ خَثْعَمَ وَضِيئَةٌ تَسْتَفْتِي رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَطَفِقَ الفَضْلُ يَنْظُرُ إِلَيْهَا، وَأَعْجَبَهُ حُسْنُهَا، فَالْتَفَتَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَالفَضْلُ يَنْظُرُ إِلَيْهَا،

فَأَخْلَفَ بيَده فَأَخَذَ بذَقَن الفَضْل، فَعَدَلَ وَجْهَهُ عَن النَّظَرِ إلَيْهَا، فَقَالَتْ: يَا رَسُولَ الله، إنَّ فَريضَةَ اللَّهِ فِي الحَجِّ عَلَى عبَاده، أَدْرَكَتْ أَبي شَيْخًا كَبيرًا، لاَ يَسْتَطيعُ أَنْ يَسْتَوِيَ عَلَى الرَّاحلَة، فَهَلْ يَقْضي عَنْهُ أَنْ أَحُجَّ عَنْهُ؟ قَالَ: «نَعَمْ». [صحيح البخاري ح٦٢٢٨]

فهكذا لم يوبخ النبي صلى الله عليه وسلم الفضل، ولكن نهاه عن النظر إلى الأجنبيات بطريقة عملية، وهكذا الكلام من هذا المشهد العظيم لنا فيه أسوة في الرفق بالناس عند أمرهم بمعروف أو نهيهم عن منكر.

العبرة الثالثة: إرشاد إلى أبواب الخير:

كثيرا ما يدعونا ربنا سبحانه لفعل الخير؛ كما في قوله جل وعلا: «يا أَيُّهَا الَّذينَ آمَنُوا ارْكَعُوا وَاسْجُدُوا وَاعْبُدُوا رَبَّكُمْ وَافْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلحُونَ» .الحج/٧٧.وكان الصحابة رضوان الله عليهم أكثر الناس سؤالا لرسول الله صلى الله عليه وسلم عن أبواب الخير.

عَنْ أَبي هُرَيْرَةَ، أَنَّ رَسُولَ اللَّه صَلَّى اللهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ سُئلَ: أَيُّ العَمَل أَفْضَلُ؟ فَقَالَ: «إيمَانٌ بالله وَرَسُوله». قيلَ: ثُمَّ مَاذَا؟ قَالَ: «الجهَادُ في سَبيل الله» قيلَ: ثُمَّ مَاذَا؟ قَالَ: «حَجٌّ مَبْرُورٌ». [صَحيح البخاري ح٢٦].

والمبرور أي الذي به طاعات، وليس فيه معاص، وخدمة الحجاج والرفق بهم ومعاونتهم وقضاء حوائجهم، كل ذلك من الطاعات، وقد يكون في التعاون مع الناس وحسن التعامل معهم من الصدقات ما يكفر خطايا العبد. فيا سعادة من أطاع رسول الله صلى الله عليه وسلم.

العبرة الرابعة: بيان المحاذير التي تمنع الخير:

عن أَبي هُرَيْرَةَ رَضيَ اللهُ عَنْهُ، قَالَ: سَمعْتُ النَّبيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ يَقُولُ: «مَنْ حَجَّ لله فَلَمْ يَرْفُثْ، وَلَمْ يَفْسُقْ، رَجَعَ كَيَوْم وَلَدَتْهُ أُمُّهُ». [صحيح البخاري ح١٥٢١]

والفسق هو السيئات والمعاصي، لأنها خروج عن طاعة الله، أليست الحدة مع الناس ومعاملتهم بالسوء من المعاصي التي تخرج العبد من الطاعة؟، قال تعالى: «فلا رفث ولا فسوق ولا جدال في الحج» [البقرة:١٩٧]، إلا جدالاً يناقش قضايا علمية بصورة طيبة.

العبرة الخامسة: خير الكلام ما قل ودل:

عن ابن عمر رضي الله عنهما: «أن النبي صلى الله عليه وسلم سئل: ما يلبس المحرم؟ فقال: لا يلبس القميص ولا العمامة ولا البرنس، ولا السراويل ولا ثوبا مسه ورس ولا زعفران، ولا الخفين إلا ألا يجد نعلين فليقطعهما حتى يكونا أسفل من الكعبين». [متفق عليه].

> الحج المبرور: هو الذي به طاعات، وليس فيه معاصٍ. وخدمة الحجاج والرفق بهم ومعاونتهم وقضاء حوائجهم، كل ذلك من الطاعات.

ومن الواضح أن النبي صلى الله عليه وسلم لم يُجب عما يلبس المحرم، ولكنه أجاب عما لا يلبس لأنه أخصر وأقصر، فقال: لا يلبس القميص ولا العمائم ولا السراويلات ولا البرانس ولا الخفاف، إلا أحد لا يجد نعلين فليلبس خفين وليقطعهما أسفل الكعبين، وفي هذا بيان لأن تكون إجابة السائل شافية ومفيدة، بكلام يسير يعطي من المعنى الكثير، لأن كثرة الكلام يُنسي بعضه بعضا، فخير الكلام ما قل ودل.

العبرة السادسة: العمل على راحة المسلمين:

في الحج تتزايد أعداد الناس، ويشتد الزحام، وقد حرص النبي صلى الله عليه وسلم ألا يترك أمته تضار من وراء أداء شعيرة من شعائر الله، فكان يرشدهم إلى ما فيه تيسير وتخفيف عليهم، ورفع المعاناة والشدة عنهم.

وحتى لا يضرهم التزاحم علي المناسك كان يقول صلى الله عليه وسلم: «نَحَرْتُ هَاهُنَا، وَمنَى كُلُّهَا مَنْحَرٌ، فَانْحَرُوا في رحَالكُمْ، وَوَقَفْتُ هَاهُنَا، وَعَرَفَةُ

كُلُّها مَوْقِفٌ، وَوَقَفْتُ هَاهُنَا، وَجَمْعٌ كُلُّهَا مَوْقِفٌ». [صحيح مسلم ح ١٢١٨]. عن جابر. وجَمْعٌ: هي مزدلفة.

وذلك حتى لا يتجمع الناس في البقعة التي وقف فيها فقط ظنًا منهم أن هذا المكان هو الموقف وحسب.

العبرة السابعة: تطييب الخواطر، وحُسن العِشْرة:

لما رأى النبي صلى الله عليه وسلم عائشة تبكي سألها: ما يبكيك؟ قالت: لا أصلي، قال: فلا يضيرك، إنما أنت امرأة من بنات آدم، كتب الله عليك ما كتب عليهن.

وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم لها: «طوافك يسعك لحجك وعمرتك». (كما رواه مسلم)، وإنما أعمرها من التنعيم تطييباً لقلبها؛ لكونها لم تطف بالبيت لما دخلت معتمرة. وفي رواية لمسلم أيضاً: «وكان النبي صلى الله عليه وسلم رجلاً سهلاً إذا هويت الشيء تابعها عليه».

فهل نقتدي بالنبي صلى الله عليه وسلم في معاملة أزواجنا بالرفق وحسن الخلق؟.

العبرة الثامنة: مراعاة شعور الآخرين:

فقد قال النبي صلى الله عليه وسلم لأم سلمة لما كانت مريضة: «طوفي من وراء الناس وأنت راكبة». وقد استفاد العلماء من هذا الحديث أنه إنما أمرها بذلك ليكون أستر لها وحتى لا يتأذوا بدابتها.

وهذا يُنصح به الذين يسوقون عربات في الطواف والسعي بذويهم أن يرفقوا بالناس ولا يؤذون ويلتزموا بالمكان الذي حدده المسئولون لهم.

العبرة التاسعة: تصحيح السلوكيات الخاطئة:

عن ابن عباس رضي الله عنها أن النبي صلى الله عليه وسلم مرَّ وهو يطوف بالكعبة بإنسان ربط يده إلى إنسان بسير أو بخيط أو بشيء غير ذلك، فقطعه النبي صلى الله عليه وسلم بيده، ثم قال: «قُدْهُ بيده». [صحيح البخاري ح ١٦٢٠].

قال السيوطي في شرح سنن النسائي: إنما قطعه لأن الاقتياد بتلك الطريقة إنما يُفعل بالبهائم.

وقد روى أحمد والفاكهي من طريق عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده، أن النبي صلى الله عليه وسلم أدرك رجلين وهما مقترنان فقال: «ما بال القران؟ قالا: إنا نذرنا لنقترنن حتى نأتي الكعبة، فقال: أطلقا أنفسكما، ليس هذا نذرًا، إنما النذر ما يُبتغى به وجه الله». إسناده حسن.

العبرة العاشرة: التواضع وتشجيع مَن يخدمون الناس ومعاونتهم:

> رد النبي صلى الله عليه وسلم إكرام العباس له بشراب خاص لأن ذلك الإكرام تعارض مع مصلحة أخرى هي مصلحة التواضع التي ظهرت من شربه مما يشرب منه الناس.

جاء النبي صلى الله عليه وسلم إلى السقاية فاستقى، فقال العباس: يا فضل، اذهب إلى أمك فأت رسول الله صلى الله عليه وسلم بشراب من عندها، فقال صلى الله عليه وسلم: اسقني. قال: يا رسول الله إنهم يجعلون أيديهم فيه، فشرب منه. ثم أتى زمزم وهم يسقون ويعملون فيها. فقال: «اعملوا فإنكم على عمل صالح»، ثم قال: «لولا أن تُغلبوا لنزلت حتى أضع الحبل على هذه». [صحيح البخاري: ١٦٣٥].

فقد رد النبي صلى الله عليه وسلم إكرام العباس له بشراب خاص لأن ذلك الإكرام تعارض مع مصلحة أخرى هي مصلحة التواضع التي ظهرت من شربه مما يشرب منه الناس، وعدم التقذر من المأكولات والمشروبات التي يضع الناس أيديهم فيها.

- وفي رواية: قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: فَرِضَا رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم ذَلِكَ، أَعْجَبُ إِلَيَّ مِنْ أَنْ تَسِيلَ شِعَابُهَا عَلَيْنَا لَبَنًا وَعَسَلًا. [حديث صحيح: مسند أحمد ٢٢٥/٥].

واستفادوا من الحديث أيضاً استحباب سقي الماء خاصة ماء زمزم، وفي هذا تواضع وإكرام لضيوف الرحمن.

وصلى الله على نبينا محمد وآله وصحبه وسلم.

تحذير الداعية من القصص الواهية

الحلقة (١٦٨)

قصة مفتراة في أسباب النزول

نواصل في هذا التحذير تقديم البحوث العلمية الحديثية حتى يقف القارئ الكريم على حقيقة هذه القصة التي اشتهرت على ألسنة القصاص والوعاظ، واغتر بها بعض المفسرين لوجودها في كُتب السنة الأصلية، في نوع من أهم أنواع علوم القرآن، وهو علم أسباب النزول مما يحتم علينا تخريجها وتحقيقها.

إعداد/ علي حشيش

أولاً: المتن:

رُوي عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: «أسلم مع النبي صلى الله عليه وسلم تسعة وثلاثون رجلاً وامرأة، وأسلم عمر تمام الأربعين، فأنزل الله عز وجل: « يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ حَسۡبُكَ ٱللَّهُ وَمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ »[الأنفال: ٦٤]».

ثانيًا: التخريج:

الخبر الذي جاء به قصة سبب نزول هذه الآية أخرجه الحافظ الطبراني في «المعجم الكبير» (١٢/ ٦٠) (ح١٢٤٧٠) قال: حدثنا عمرو بن حفص السدوسي، حدثنا إسحاق بن بشر الكاهلي، حدثنا خلف بن خليفة، عن أبي هاشم الروماني عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال: «أسلم مع النبي صلى الله عليه وسلم تسعة وثلاثون رجلا وامرأة». الحديث.

وأخرجه الإمام أبو الحسن علي بن أحمد الواحدي المتوفى سنة ٤٦٨هـ في كتابه «أسباب النزول» (ص١٦٥- ط. دار الهلال بيروت): قال: أخبرنا أبو بكر بن الحرث قال: أخبرنا أبو الشيخ الحافظ، قال: حدثنا أحمد بن عمرو بن عبد الخالق قال: حدثنا صفوان بن المغلس قال: حدثنا إسحاق بن بشر قال: حدثنا خلف بن خليفة عن ابن هشام الزماني عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال: أسلم مع رسول الله صلى الله عليه وسلم تسعة وثلاثون رجلاً... الحديث.

ثالثًا: التحقيق:

لم أكتف بعزو الحديث إلى من أخرجه، ثم ذكر العلة، ولكن ذكرت الإسناد عند الإمام الحافظ الطبراني في «الكبير» ثم ذكرت الإسناد عند الإمام الواحدي في «أسباب النزول»، وهذا له أهميته في الصناعة الحديثية فقد تبين بالمقارنة:

١- التصحيف:

فالراوي «أبو هاشم الرُّمَّاني» في الإسناد عند الطبراني صُحِّف إلى «ابن هشام الزماني» عند الواحدي.

ولقد تحقق لنا هذا التصحيف من الأسباب الآتية:

أ- بالبحث في الرواة لا يوجد ما يسمى «ابن هشام الزماني».

ب- أمَّا الرَّاوي «أبو هاشم الرُّمَّاني» فقد ذكره الإمام الحافظ المزي في «تهذيب الكمال» (٢٢/ ٨٨/ ٨٢٧٤) قال: «أبو هاشم الرُّمَّانيُّ الواسطي كان ينزل قصر الرُّمَّان بواسط، روى عن سعيد بن جبير وغيره، وروى عنه خلف بن خليفة وغيره.. روى له الجماعة». اهـ.

وبهذا يتحقق الإسناد «إسحاق بن بشر عن خلف بن خليفة عن أبي هاشم الرماني عن سعيد بن جبير عن ابن عباس به».

قلت: ولقد بيَّنا هذا التصحيف حتى يقف طالب العلم على حقيقة هذا الإسناد الذي وقع

فيه التصحيف عند الإمام الحسن علي بن أحمد الواحدي في كتابه «أسباب النزول» وهو أشهر ما صنف في هذا الفن.

وهذا أيضًا من أهم أهداف هذه السلسلة «تحذير الداعية من القصص الواهية»، وهي الصناعة الحديثية من خلال علم الحديث التطبيقي؛ فمعرفة المُصَحَّف هو النوع الخامس والثلاثون كما في «تدريب الراوي» (١٩٣/٢) حيث يقول الإمام السيوطي: «معرفة المُصَحَّف: هو فن جليل مهم وإنما يحققه الحذاق من الحفاظ». اهـ.

ومما أوردناه آنفًا يتبين أن هذا التصحيف:

باعتبار موقعه: تصحيف في الإسناد.

باعتبار منشئه: تصحيف بصر.

باعتبار لفظه أو معناه: تصحيف في اللفظ.

٢- المتفق والمفترق:

بالرجوع إلى الإسناد نجد أن الإمام الواحدي في كتابه «أسباب النزول» ذكر اسم الراوي «إسحاق بن بشر» مجردًا من نسبته ونسبه وكنيته ولقبه.

وبالبحث نجد أن «إسحاق بن بشر» اثنان اتفقت أسماؤهما وأسماء آبائهما.

وهذا النوع في علوم الحديث ذكره الإمام السيوطي في «التدريب» (٣١٦/٢) النوع «الرابع والخمسون» قال: ثم بين أهميته فقال: «قد زلق بسببه غير واحد من الأكابر»، ثم بين أول أقسامه فقال: «من اتفقت أسماؤهم وأسماء آبائهم».

ثم بين أشهر المصنفات فيه فقال: «وللخطيب فيه كتاب نفيس».

وبالتطبيق «إسحاق بن بشر» اثنان اتفقت أسماؤهما وأسماء آبائهما وفرَّق بينهم الخطيب البغدادي.

الأول: ذكره الخطيب في «تاريخ بغداد» (٣٣٧٠/٣٢٦/٦) قال: إسحاقَ بن بشر بن محمد بن عبد الله بن سالم، أبو حذيفة البخاري مولى بني هاشم ولد ببلخ، واستوطن بخارى، فنسب إليها وهو صاحب كتاب «المبتدأ»، وكتاب «الفتوح». اهـ.

ثم بيَّن حاله فقال: «أخبرني الأزهري، حدثنا عبد الله بن عثمان الصفار، أنبأنا محمد بن عمران الصيرفي، حدثنا عبد الله بن علي المديني قال: سمعت أبي يقول: أبو حذيفة الخرساني كذاب كان يحدث عن ابن طاووس قال: فجاءوا إلى ابن عيينة فأخبروه بسنه، فإذا ابن طاووس مات قبل أن يولد». اهـ.

فائدة: وهذا تطبيق آخر في الصناعة الحديثية قال الإمام النووي في «التقريب» (٣٤٩/٢- تدريب): «النوع الستون: التواريخ والوفيات، وهو فن مهم به يعرف اتصال الحديث وانقطاعه وقد ادعى قوم الرواية عن قوم فنظر في «التاريخ» فظهر أنهم زعموا الرواية بعد وفاتهم بسنين». اهـ.

وذكر السيوطي في «التدريب» (٣٥٠/٢): قال سفيان الثوري لما استعمل الرواة الكذب استعملنا لهم التاريخ. اهـ.

قلت: هذا هو حال إسحاق بن بشر أبو حذيفة البخاري الخرساني توفي يوم الأحد ودفن يوم الاثنين لاثنتي عشرة خلت من رجب سنة ست ومائتين.

الثاني: ذكره الخطيب البغدادي في «تاريخ ابن بشر بن مقاتل أبو يعقوب الكاهلي مات سنة ثمان وعشرين ومائتين، وأبو حذيفة البخاري، وأبو يعقوب الكاهلي كلاهما روى عن مالك بن أنس وكلاهما متفق في الاسم والنسب، وقد جعل الإمام الحافظ الخطيب ترجمة الأول (٣٣٧٠)، والثاني (٣٣٧١)، والأول مات قبل الثاني، وهذا سبب تقديم ترجمة الأول وفي ذلك يقول الإمام الحافظ الخطيب: «إسحاق بن بشر بن مقاتل أبو يعقوب الكاهلي من حقه أن يؤخر ذكره ويقدم عليه من مات قبله ، وإنما جمعنا بينه وبين أبي حذيفة لاتفاقهما في الاسم والنسب ، والكاهلي من أهل الكوفة».

ثم بيَّن حاله فقال: «أخبرنا محمد بن الحسين بن الفضل القطان، أخبرنا جعفر بن محمد بن نصير الخالدي، حدثنا محمد بن عبد الله بن سليمان الحضرمي، قال: سمعت أبا بكر بن أبي شيبة- ومررنا على إسحاق بن بشر- فقال لي أبو بكر: من هذا؟ قلت: هذا الكاهلي، قال:

أبو يعقوب؟ كذاب. قال الحضرمي: ولا أحفظ أن أبا بكر قال لي في أحد كذاب غيره». اهـ.

٣- فائدة:

هذا بيان لا بد منه ومن لا دراية له بالصناعة الحديثية، ونقد الرجال يظن أنه هين ولكن كما بينا آنفًا:

«قد زلق بسببه غير واحد من الأكابر». اهـ.

قلت: ولقد بين ذلك الحافظ الذهبي في «الميزان» (١/١٨٤/٧٣٩) قال:

أ- «إسحاق بن بشر، أبو حذيفة البخاري صاحب كتاب المبتدأ... خلط ابن حبان ترجمته بترجمة الكاهلي». اهـ.

ب- ثم قال: «وكذا خلط ابن الجوزي فقال في هذا: «الكاهلي مولى بني هاشم ولم يُصب في قوله الكاهلي، وهذا هو إسحاق بن بشر بن محمد بن عبد الله بن سالم».

ثم قال: «يروي العظائم عن ابن إسحاق وابن جريج والثوري، ويروي أيضًا عن جرير ومقاتل بن سليمان والأعمش». اهـ.

قلت: وبهذا قد تبين الإمام الذهبي خلط الإمام ابن حبان، وخلط الإمام ابن الجوزي بسبب المتفق والمفترق ويتحقق القول: قد زلق بسببه غير واحد من الأكابر.

٤- مما أوردناه آنفًا يتبين أن علة هذا الخبر الذي جاءت به هذه القصة إسحاق بن بشر.

وبمقارنة الإسناد عند الإمام الواحدي، بالإسناد عند الإمام الطبراني يتبين أن الراوي إسحاق بن بشر هو علة القصة.

قلت: مما أوردناها آنفًا من الصناعة الحديثية في «المتفق والمفترق» ومما ذكرناه من إسناد للقصة عند الإمام الواحدي وعند الإمام الطبراني تبين أن إسحاق بن بشر بن مقاتل أبا يعقوب الكاهلي الكوفي هو علة هذا الخبر الذي جاءت به القصة.

أ- قال الإمام الحافظ ابن عدي في «الكامل» (١/٣٤٢) (١٧٢/١٧٢): «إسحاق بن بشر أبو يعقوب الكاهلي الكوفي سمعت أحمد بن محمد بن سعيد يقول: سمعت الحضرمي يقول: ما سمعت أبا بكر بن أبي شيبة، كذَّب أحدًا إلا إسحاق بن بشر الكاهلي، فإنه جاز به فقال لي: أبو يعقوب هذا كذاب». اهـ.

ب- وقال الحافظ ابن عدي: سمعت إبراهيم بن محمد بن عيسى الجهني يقول: «سمعت موسى بن هارون الجمال يقول: مات إسحاق بن بشر الكاهلي بالكوفة سنة ثمان وعشرين ومائتين، كذاب». اهـ.

جـ- قلت: ثم أخرج له الحافظ ابن عدي أحاديث باطلة، ثم قال في ختام ترجمته: «وإسحاق بن بشر الكاهلي قد روى غير هذه الأحاديث وهو في عداد من يضع الحديث». اهـ.

د- قال الإمام الحافظ أبو محمد عبد الرحمن بن أبي حاتم محمد بن إدريس الرازي في «الجرح والتعديل» (١/٢١٤/٧٣٤): «إسحاق بن بشر الكاهلي كوفي سمعت أبا زرعة يقول: كان يكذب يحدث عن مالك وأبي معشر بأحاديث موضوعة رأيته بالكوفة، قال: وسئل أبي عنه فقال: كان يكذب». اهـ.

قلت: هذه أقوال أئمة الجرح والتعديل الذين عاصروا ورأوا إسحاق بن بشر بن مقاتل، أبا يعقوب الكاهلي... عنهم بالأسانيد فما أحوجنا إلى هذا المنهج، فقد كثر التخريج بغير أسانيد، بل هناك من يجرح الرواة من قوله وبينه وبينهم قرون.

ولقد تبين من أقوال أئمة الجرح والتعديل أن إسحاق بن بشر أبا يعقوب الكاهلي كذاب يضع الحديث.

فالخبر الذي جاءت به القصة «قصة أسباب نزول الآية الرابعة والستين من سورة الأنفال» موضوع، والقصة واهية.

رابعًا خبر القصة مرفوع حكمًا

يظن من لا دراية له بأنواع علوم الحديث أن الخبر الذي جاءت به القصة موقوف على ابن عباس، ولا يدري أنه مرفوع حكمًا لتعلقه بأسباب النزول؛ حيث رُوِي عن ابن عباس قال: «وأسلم عمر تمام الأربعين فأنزل الله عز وجل: «يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ حَسْبُكَ ٱللَّهُ وَمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ» [الأنفال: ٦٤].

قال الحافظ العراقي في «ألفية الحديث» (١١٢):

وعدُّ ما فسرهُ الصحابي
رَفعًا فمحمول على الأسباب

قال الحافظ العراقي في «فتح المغيث بشرح ألفية الحديث» (ص٥٩):

قوله: «رفعًا» أي: مرفوعًا، فأتى بالمصدر موضع المفعول؛ أي وعُدَّ تفسير الصحابة مرفوعًا محمول على تفسير فيه أسباب النزول، ولم يعين ابن الصلاح من القائل بأن مطلق تفسير الصحابي مرفوع وهو الحاكم وعزاه للشيخين فقال في «المستدرك»: ليعلم طالب العلم أن تفسير الصحابي الذي شهد الوحي والتنزيل عند الشيخين حديث مسند، قال ابن الصلاح: إنما ذلك في تفسير يتعلق بسبب نزول آية يخبر به الصحابي أو نحو ذلك... قال: فأما تفاسير الصحابة التي لا تشتمل على إضافة شيء إلى النبي صلى الله عليه وسلم فمعدود في الموقوفات». اهـ.

خامسًا: نقد المتن:

من مزاعم المستشرق «شافت» ما ادعاه- جهلاً وبهتانًا- بأن المحدثين اعتنوا بالنقد الخارجي أي من ناحية الرواة، ولم يعتنوا بالنقد الداخلي وهو نقد المتن.

قلت: هذا بهتان عظيم جاء به هؤلاء المستشرقون ومن تبعهم من الكتاب لعدم درايتهم بالصناعة الحديثية ومناهج المحدثين في الجرح والتعديل، والتي يتبين منها أن أئمة الحديث وجهوا النقد للمتن كثيرًا كما يوجه إلى السند بل في كثير من الأحيان يكون النقد للسند والرواة مرجعه إلى ما روي من مناكير أو موضوعات فيقول أئمة الحديث «حديث منكر» أو «موضوع» ويقولون في الراوي «منكر الحديث» أو «يضع الحديث».

ولذلك قال الحافظ العراقي في «فتح المغيث» (ص٧): «من كثر الخطأ في حديثه وفحش استحق الترك وإن كان عدلاً». اهـ.

١- قال الحافظ ابن كثير في «تفسيره» (٣٧٩/٣) (الأنفال: ٦٤): «قد روي عن سعيد بن المسيب وسعيد بن جبير أن هذه الآية نزلت حين أسلم عمر بن الخطاب وكمل به الأربعون وفي هذا نظر؛ لأن هذه الآية مدنية وإسلام عمر كان بمكة بعد الهجرة إلى الحبشة، وقيل الهجرة إلى المدينة».

قلت: وهذه قرينة في «المتن» تدل على بطلان هذا الخبر عن سعيد بن جبير عن ابن عباس، ويدل على نقد أئمة هذه الصناعة للمتن:

٢- حسب الله (أي: كفايته) لنبيه صلى الله عليه وسلم لا يرتبط بعدد مما يدل على أن هذا المتن منكر، قال الراغب الأصفهاني في «غريب القرآن» (ص١١٧): «حَسْب يستعمل في معنى الكفاية (حسبنا الله) أي كافينا». اهـ.

والدليل: ما أخرجه الإمام أحمد في «المسند» (ح٣) من حديث البراء بن عازب في ستة وثلاثين سطرًا، وفيه قال أبو بكر: «فارتحلنا والقوم يطلبوننا فلم يدركنا أحدٌ منهم إلا سراقة بن مالك بن جعشم على فرس له، فقلت: يا رسول الله، هذا الطلب قد لحقنا، فقال: لا تحزن إن الله معنا، حتى إذا دنا منا فكان بيننا وبينه قدر رمح أو رمحين أو ثلاثة، قلت: يا رسول الله، هذا الطلب قد لحقنا وبكيت، قال: لم تبكي؟ قال: **قلت:** أما والله ما على نفسي أبكي، ولكن أبكي عليك، قال: فدعا عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: اللهم اكفناه بما شئت». فساخت قوائم فرسه إلى بطنها في أرض... ووثب عنها وقال: يا محمد، قد علمت أن هذا عملك فادع الله أن ينجيني مما أنا فيه.. اهـ.

وهذا الحديث أخرجه الإمام البخاري في «صحيحه» (ح٣٦١٥)، ومسلم (ح٢٠٠٩) من حديث البراء واللفظ لأحمد.

مناسبة الحديث للآية (الأنفال: ٦٤) دعاء النبي صلى الله عليه وسلم عليه: «اللهم اكفناه بما شئت».

٣- قال الإمام ابن القيم في «زاد المعاد» (٣٩/١): «قوله تعالى: «أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُۥ» [الزمر: ٣٦]، فأخبر سبحانه وتعالى أنه وحده كاف عبده، فكيف يجعل أتباعه مع الله في هذه الكفاية؟ والأدلة الدالة على بطلان هذا التأويل الفاسد أكثر من أن تذكر هاهنا». اهـ.

٤- قوله تعالى: «يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَسْبُكَ اللَّهُ وَمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ» قال الإمام ابن القيم: «حسبك في معنى كافٍ أي: الله يكفيك ويكفي من اتبعك». اهـ.

هذا ما وفقني الله إليه وهو من وراء القصد.

باب العقيدة

مدخل إلى العقيدة الإسلامية

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين، وآله وصحبه أجمعين، وبعد:

فقد تكلمنا فيما سبق عن بعض التعريفات الأولية التي وضحت لنا مفهوم مصطلح «أهل السنة»، وسنناقش في هذا العدد أهمية الانتساب لأهل السنة وما يميزهم من سمات.

إعداد

د. عبد الله شاكر

أهمية الانتساب إلى أهل السنة:

إن تحقيق انتساب الفرد والطائفة إلى أهل السنة والجماعة هو أعظم المهمات؛ فهو طريق النجاة والعصمة في الدنيا من الفرقة والبدعة، وذهاب الريح، وهو طريق النجاة في الآخرة من العذاب والتباب. قال تعالى « وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا » [آل عمران: ١٠٣] والتحقيق أنه طريق الإسلام المستقيم، وهو منهجه القويم، قال تعالى: «وَأَنَّ هَٰذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ »[الأنعام: ١٥٣].

وقد فسر الصراط المستقيم بالسنة والجماعة، فالانتساب إلى أهل السنة والجماعة والسلف الصالح، يعني في حقيقة الأمر الانتساب إلى الإسلام الصافي عن شوائب البدع ومخالفة الفرق. ومن المعلوم: أن كل من رضي بالله ربا، وبالإسلام دينا، وبمحمد صلى الله عليه وسلم نبيًا ورسولاً، يكون- لا شك- مقبلاً على الالتزام بالإسلام جملة، وعلى تحكيم شريعته استسلامًا وانقيادًا، ويبرئ بذلك من تبني أي مذهب بدعي، أو الانتساب إلى فرقة ضالة، أو الاعتماد على أصل كلي من أصول البدع.

ومن كان كذلك- أي: التزم هذا الالتزام، وصار على هذا النهج- فهو من أهل السنة والجماعة إجمالاً، وهذا يشمل عوام المسلمين الذين لم ينضوا تحت راية بدعية، ولم يكثروا سواد فرقة غير مرضية؛ فهذا القدر يحقق انتسابًا إجماليًا تصح به النسبة إلى أهل السنة والجماعة.

وتتجلى أهمية هذا الانتساب وتظهر ثمراته في أمور؛ منها: أن ضبط أصول أهل السنة والتمسك بها عصمة من الاضطراب والتخبط العلمي، وفي ذلك ما لا يخفى من حفظ الدين من أنواع التحريف كافة، ومواجهة التيارات البدعية المنحرفة القديمة منها أو المعاصرة، والانتماء السابق إلى هذه الطائفة المباركة، هو في حقيقته سبب وسبيل قاصد لوحدة العاملين في حقل الدعوة إلى الله تعالى في كل زمان ومكان؛

لأن الاجتماع على هذا الانتماء أنجح وأنفع من الاجتماع على راية حزبية أو دعوة إقليمية؛ لأنه اجتماع على منهج الحق والاتباع، وليس على حساب الحق والاتباع.

ثم إن شرف تجديد الدين الذي أخبر به خاتم الأنبياء والمرسلين صلى الله عليه وسلم لا يتأتى على وجهه الأكمل وصورته المثلى، إلا من الفرقة الناجية، والطائفة المنصورة، أهل السنة والجماعة. إذ فيهم الأئمة المتقون، ومنهم المجددون السلفيون المصلحون.

وبناء على ما تقدم؛ فإن السؤال الذي يطرح نفسه هو: بما يتحقق صدق الانتساب وتمامه؟ إذا تحقق أصله وأساسه. هل يتحقق ذلك بإثارة قضية أو قضايا ناقشها السلف وعالجوها في كتبهم ومقالاتهم في زمانهم فقط؟ أم يتأكد بإظهار محبتهم، والترضي عنهم، وتعطير المجالس بذكرهم فحسب أو لعل هذا الانتساب يكون بتبني كتبهم، والتوافر على قراءتها وتدريسها دون غيرها؟ أم أن الانتماء لهم يتحقق بمجرد التسمي باسم أهل السنة والجماعة، أو أهل الحديث، أو السلف الصالح، أو الفرقة الناجية؟ إلى غير ذلك من الإجابات المنقوصة من هذا السؤال المهم.

> أهل السنة والجماعة أول ما يميزهم عن غيرهم هو منهاج التلقي لعلومهم، ومصدر الحق الذين ينهلون منه عقائدهم، وتصوراتهم، وعباداتهم ، ومعاملاتهم ، وسلوكهم، وأخلاقهم .

والحق: أن كمال الانتساب يكون بتبني جملة وأصول معالم مجتمعه، وبقدر ما يقع من الضعف في الأخذ بها جميعًا؛ بقدر ما يحصل من الوهن في هذه النسبة الشريفة، وبالتالي: على المسلم الذي يريد وجه الله، والدار الآخرة، أن يتبنى جملة وأصول معالم أهل السنة والجماعة، وأن يسير عليها.

كيف نشأت التسمية بـ «أهل السنة والجماعة»؟

أما عن بدأ التسمية بأهل السنة والجماعة أو أهل الحديث، فكانت له بداية؛ لأن الافتراق لما حصل وتعددت هذه الفرق، وكثرت البدع والانحرافات؛ كان لابد لأهل السنة أن يتميزوا عن غيرهم في اعتقادهم وفي منهجهم، وإن كانوا في الحقيقة امتداد طبعيًا لما كان عليه الرسول صلى الله عليه وسلم وأصحابه، ولما كانوا كذلك، أطلق أهل الحديث وأهل السلف الصالح هذا اللقب عليهم- أعني: أهل السنة والجماعة- ليتميزوا به عن سائر الفرق الضالة المبتدعة.

الملامح العامة والصفات الأساسية التي تميز أهل السنة:

أ- منهج التلقي عند أهل السنة والجماعة:

أهل السنة والجماعة أول ما يميزهم عن غيرهم هو منهاج التلقي لعلومهم، ومصدر الحق الذين ينهلون منه عقائدهم، وتصوراتهم، وعباداتهم، ومعاملاتهم، وسلوكهم، وأخلاقهم؛ فمصدر العلم والحق في سائر فروع المعرفة الشرعية عند أهل السنة والجماعة، هو كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم فلا كلام لأحد قبل كلام الله، ولا هدي لأحد قبل هدي محمد صلى الله عليه وسلم.

يقول عنهم شيخ الإسلام ابن تيمية- رحمه الله تعالى الله- مبينًا ومبرزًا هذا المنهج الأصيل عند أهل السنة والجماعة وهم أهل الكتاب والسنة؛ لأنهم يؤثرون كلام الله على كلام غيره من كلام أصناف الناس، ويقدمون هدي محمد صلى الله عليه وسلم على هدي كل أحد، ويتبعون آثاره صلى الله عليه وسلم باطنًا وظاهرًا، ولا ينصبون مقالة ويجعلونها من أصول دينهم وجمل كلامهم إن لم تكن ثابتة فيما جاء به رسول الله صلى الله عليه وسلم بل يجعلون ما بعث به الرسول صلى الله عليه وسلم من الكتاب والحكمة هو الأصل الذي يعتقدونه ويعتمدونه.

وما تنازع فيه الناس من مسائل الصفات، والقدر، والوعيد، والأسماء، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وغير ذلك يردونه إلى الله ورسوله صلى الله عليه وسلم ويفسرون الألفاظ المجملة التي تنازع فيها أهل التفرق والاختلاف، فما كان من

معانيها موافقًا للكتاب والسنة أثبتوه، وما كان منها مخالفًا للكتاب والسنة أبطلوه، ولا يتبعون الظن وما تهوى الأنفس، فإن إتباع الظن جهل، واتباع هوى النفس بغير هدى من الله ظلم.

وأهل السنة بهذا لا معصوم عندهم إلا رسول الله صلى الله عليه وسلم فالأئمة عندهم ليسوا بمعصومين، بل كل واحد منهم يؤخذ من كلامه ويترك إلا رسول الله صلى الله عليه وسلم فمقالات أئمتهم تابعة لسنة نبيهم صلى الله عليه وسلم وليست مقدمة عليها.

وفي ذلك يقول ابن تيمية- رحمه الله تعالى الله-: أهل الحق والسنة لا يكون متبوعهم إلا رسول الله صلى الله عليه وسلم فهو الذي يجب تصديقه في كل ما أخبر، وطاعته في كل ما أمر، وليست هذه المنزلة لغيره من الأئمة، وأهل السنة أيضا يعتقدون أن أعلم الخلق بدين الله بعد النبي صلى الله عليه وسلم هم صحابته (رضوان الله عليهم) والسلف الصالح، فما أجمعوا عليه من أمر دينهم كان معصومًا لا يسع أحدًا أن يخرج عليه؛ فإجماعهم حجة شرعية ملزمة لمن بعدهم، وكل من التزم بإجماعهم؛ صار عضوًا في جماعتهم.

> سئل النبي صلى الله عليه وسلم عن الفرقة الناجية، فقال: «هي الجماعة»، وفي رواية: «هي ما كان عليه أنا وأصحابي» فهم الممثلون للأمة المحمدية في صفاء عقائدها، ونقاء منهجها .

ب- أهل السنة هم أهل التوسط والاعتدال:

وهذه مسألة من أبرز معالم ومنهج أهل السنة والجماعة. فمن الصفات الأساسية التي تميز منهج أهل السنة والجماعة، هو التوسط والاعتدال. فالأمة المحمدية هي خير الأمم، كما قال تعالى: «كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ » [آل عمران: ١١٠] وهي أيضا الأمة الوسط التي توسطت الأمم، فكان عندها من كل ما فيها خيره وأحسنه، كما قال سبحانه: « وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا » [البقرة: ١٤٢].

فأمة النبي صلى الله عليه وسلم هي أفضل الأمم، وهي أعدل الأمم، وهي أخير الأمم بإطلاق، وأهل السنة والجماعة هم أعدل وأوسط وأفضل أمة محمد صلى الله عليه وسلم ووسطية الأمة المحمدية متضمنة لكونها على الحق؛ أو أن ما عندها منه أوفر من سائر الأمم، بل هي أسعد وأخص به منهم؛ مما جعلها حكمًا بين الرسل وأممهم، فهذه ميزة عظيمة لهذه الأمة المحمدية؛ أنها ملتزمة بالحق، قائمة به، سائرة عليه، ولهذا كانت مفضلة عند رب العالمين سبحانه، وحاكمة بين الرسل وأممهم، كما قال سبحانه: «وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ ۚ هُوَ اجْتَبَاكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ ۚ مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ ۚ هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِن قَبْلُ وَفِي هَٰذَا لِيَكُونَ الرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ » [الحج: ٧٨].

وكونهم شهداء متضمن لتعديلها وقبول شهادتها على من سواها؛ ولذا فإن الذي يمثل الأمة المحمدية لابد وأن يكون وسطا، وأن يكون ما عنده من الحق هو الأكمل، ولا يكون كذلك إلا إذا تمسك بالكتاب والسنة، وجعلهما إمامًا له في كل شؤونه في باب الأصول- العقائد- وفي باب الفروع- الأحكام العملية- كما قال سبحانه: « فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا » [النساء: ٦٥].

وأسعد الأمة المحمدية بهذا الأمر هم أهل السنة والجماعة، ولذا فهم بين فرق الأمم المحمدية كالأمة المحمدية نفسها بين الأمم، فهم الوسط بينهم؛ لأن منهجهم هو ما كان عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه، فقد سئل النبي صلى الله عليه وسلم عن الفرقة الناجية، فقال: «هي الجماعة»، وفي رواية: «هي ما كان عليه أنا وأصحابي» فهم الممثلون للأمة المحمدية في صفاء عقائدها، ونقاء منهجها، ومصداق هذه الوسطية تظهر بإيضاح معالمها، كما تظهر ببيان عناصرها، وذكر مظاهرها والتي

من أهمها ما يلي:

أولًا: الوسطية في آيات صفات الله سبحانه بين أهل التعطيل: الجهمية، وأهل التمثيل: المشبهة.

ثانيًا: الوسطية في باب أفعال العباد بين الجبرية والقدرية وغيرهم.

ثالثًا: الوسطية في باب الوعد والوعيد بين المرجئة والقدرية وغيرهم.

رابعًا: الوسطية في باب الدين والإيمان.

خامسًا: الوسطية في باب أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم بين الغالين فيهم من جهة، وبين المكفرين لبعضهم من جهة أخرى.

سادسًا: الوسطية في باب المعقول والمنقول بين الأشعرية والمعتزلة.

ولتجلية وسطية أهل السنة والجماعة، أرى أن أبين هنا ما تشتمل عليه عناصرها من معان تجليها وتظهرها.

وهي كما يلي:

أولًا: الوسطية في باب الصفات:

انقسم الناس في باب الصفات إلى قسمين:

القسم الأول: النفاة للصفات أو لبعضها.

القسم الثاني: المثبتون لها على نحو ما يتصف به المخلوق، وكلا هاتين الطائفتين على طرفي نقيض كما يظهر هذا ويتضح.

أما مذهب أهل السنة: فهو إثبات ما أثبته الله لنفسه في كتابه أو أثبته له رسوله صلى الله عليه وسلم في سنته، من غير تعطيل كتعطيل النفاة، ولا إثبات كإثبات المثلة؛ اعتمادًا على دلالة قوله سبحانه «لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ» [الشورى: ١١] فقوله سبحانه «لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ» رد على الممثلة، وإبطال لمذهبهم، وكذلك قوله: «وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ» رد على المعطلة وإبطال لمذهبهم.

ثانيًا: الوسطية في باب أفعال العباد:

وذلك أن القدرية- وهم نفاة القدر- يذهبون إلى أن الله لا يُقَدِّر أفعال العباد. وعليه فهي ليست مخلوقة له، وإنما العباد هم الخالقون لأفعالهم.

> عقيدة أهل السنة والجماعة في باب الصفات إثبات ما أثبته الله لنفسه في كتابه وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم من غير تعطيل كالنفاة، ولا تمثيل وتشبيه كالممثلة الذين يشبهون الله بخلقه.

ويرى الجبرية: أن العبد لا تأثير لقدرته في إيجاد الفعل، وبناء على ذلك فإن جميع أفعال العباد في الحقيقة عندهم هي أفعال للرب؛ فهي موجودة من العباد قهرًا، ولا أثر لإرادتهم في فعلها أو تركها، فالقدرية النفاة جفوا في إثبات القدر، ونفوا قدرة الرب وخلقه لأفعال عباده. والجبرية غلوا في إثبات القدر، ونفوا مسئولية العبد عن أفعاله، فهو لا يريد فعلها، ولا يستطيع ولا يقدر عليه.

وتوسط أهل السنة والجماعة، فأثبتوا مسئولية العبد عن أفعاله، وبينوا أن العبد يثاب ويعاقب على أفعاله، وله إرادة ترجح له الفعل أو الترك، وإن كانوا يقولون: إن إرادته ليست مؤثرًا تامًا يوجب وجوب الفعل؛ لأن الله- تبارك وتعالى- خالق لأفعال العباد، كما هو الخالق للفاعلين.

وهو سبحانه وتعالى لا يكون في ملكه إلا ما يريد كونًا وقدرًا، وقدرة رب العالمين سبحانه هي المؤثر التام في الوجود والعدم؛ ولذا فإن فعل العبد له علاقة بقدرته من حيث هي مؤثر ناقص في الوجود، وله علاقة بقدرة الرب من حيث هي المؤثر التام للوجود، وهم بذلك يجمعون بين النصوص ويؤلفون بينها؛ فالله تعالى قد نص على خلقه لأفعال عباده بقوله. «قَالَ أَتَعْبُدُونَ مَا تَنْحِتُونَ ﴿٩٥﴾ وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ» [الصافات: ٩٥، ٩٦] ونص على أنه لا يكون في ملكه إلا ما يشاء، فقال سبحانه: «لِمَن شَآءَ مِنكُمْ أَن يَسْتَقِيمَ ﴿٢٨﴾ وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ» [التكوير: ٢٨، ٢٩].

فأثبت للعبد مشيئة مؤثرة في فعله، وجعل وجود متعلقها خلقًا وإيجادًا تابعة لمشيئته سبحانه.

وللحديث بقية إن شاء الله، والحمد لله رب العالمين.

التعصب وأثره على الأمة

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، وبعد:

فإن ظاهرة التعصب تعد من أكبر المعوقات والعقبات التي تواجه الأمة الإسلامية، فهي من الأمراض المهلكة التي فرّقت جمع الأمة وشتّتت شملها؛ ذلك لأنها تولّد العداوة والبغضاء بين أفراد المجتمع الواحد، ولذا حذّر منها النبي صلى الله عليه وسلم في قوله: «ليس منا من دعا إلى عصبية». ووصفها بأنه «نتن» في قوله صلى الله عليه وسلم: «دعوها فإنها منتنة».

إعداد **أسامة سليمان**

لقد آخى الإسلام بين العربي والفارسي والحبشي والرومي، فلا اعتبار بجنس ولا لون ولا حسب أو نسب، فالكل سواء والتقوى هي معيار التفضيل بين العباد، يقول الله سبحانه: «إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ» [الحجرات:١٣]، ويقول صلى الله عليه وسلم: «لا فضل لعربي على عجمي ولا لأسود على أبيض إلا بالتقوى والعمل الصالح» [أخرجه البيهقي في شعب الإيمان ٥١٣٧].

بيد أن أعداء الإسلام صدّروا للأمة الحزبية البغيضة التي تفرق ولا تجمع، فزينوا لهم الباطل، وحاكوا لهم المؤامرات فأحيوا نعرات الجاهلية حتى تقاتل أبناء الأمة الواحدة، ورفع بعضهم السلاح على أخيه، وأباح دمه وماله وعرضه، وصدق رب العالمين: «يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تُطِيعُواْ فَرِيقًا مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ يَرُدُّوكُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ كَٰفِرِينَ» [آل عمران:١٠٠].

ولهذا الداء العضال نتائج وخيمة وآثار بغيضة فرقت الأمة بعد وحدتها، وحل بها الوهن والذل والصغار بعد القوة والعزة والسيادة بسبب التعصب المقيت لحزب أو لجماعة.

وفي هذا المقال نبين معنى التعصب وأسبابه وآثاره وطرق الوقاية منه؛ عسى أن ينتبه الحزبيون ويفيق الشاردون.

أولاً: معنى التعصب:

التعصب لغة: هو التنازع والفرقة والاعتداد بالأنساب، والإعانة على الظلم، والمدافعة بالباطل. [انظر: لسان العرب مادة عصب ٩٦/٢].

وفي الاصطلاح معناه: الدعوة إلى التفريق والاختلاف في حالة النزاع والتشاجر مما يؤجج نار الفتنة ويشعل الحرب. [الموسوعة العربية العالمية ١٢/٧].

ثانيًا: أنواع التعصب:

قال ابن القيم رحمه الله في «زاد المعاد» (٤٧١/٢): «الدعاء بدعوى الجاهلية، كالدعاء إلى قبيلة وللأنساب والأحساب، والتعصب لمذهب أو لشيخ أو لطائفة، وتفضيل بعضها على بعض، والموالاة والمعاداة على ذلك، كل ذلك من دعوى الجاهلية».

ويمكن تقسيم التعصب إلى أنواع منها:

١- التعصب المذهبي.
٢- التعصب القبلي.
٣- التعصب الحزبي.
٤- التعصب القومي أو الوطني.

[انظر: حماية الأمة الرشيدة ص٢١].

١- التعصب المذهبي:

ونقصد به التعصب لمذهب معين من المذاهب الفقهية المعروفة دون النظر إلى دليل من كتاب أو سنة، وإن خالف صريح الدليل وصادمها.

وهذا النوع من التعصب دفع بالبعض إلى تبديع مخالفه وجر الخصومات بين المسلمين حتى قال بعض المتعصبين للمذهب: كل آية وحديث يخالف المذهب إما منسوخ أو ضعيف أو مؤول، يقول أبو الحسن الكرخي من الحنفية: والأصل أن كل آية تخالف قول أصحابنا فإنها تحمل كل النسخ أو على

الترجيح، والأولى أن تحمل على التأويل من جهة التوثيق. [أصول الكرخي، ص١١٦].

وقال القاضي عياض المالكي:

ومالك المرتضى لا شك أفضلهم
إمام دار الهدى والوحي والسنن

[سير أعلام النبلاء ١/١٢٤].

وقال أبو إسماعيل الأنصاري:

أنا حنبلي ما حييت وإن أمت
فوصيتي للناس أن يتحنبلوا

[المصدر السابق ١٨/٥٠٦].

وإن أصحاب المذاهب حذروا من ذلك التعصب، وبينوا أن الحديث الصحيح هو مذهبهم، والدليل هو الحاكم، وليس لقولهم اعتبار إذا صادم القرآن أو السنة الصحيحة، يقول الشافعي رحمه الله: «إذا وجدتم في كتابي خلاف سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم فقولوا بسنة رسول الله ودعوا قولي».

وقال النووي رحمه الله: «مذهب الشافعي ما وافق الحديث». [المجموع ١/١٠٤].

وكذا قال مالك وأحمد وأبو حنيفة رحمهم الله، إلا أن الأتباع تعصبوا فتحول الخلاف المذهبي إلى خلاف حزبي، فكان كل مذهب يصلي جماعة دون الآخر حتى حرم البعض الزواج من المذهب الآخر لعدم الكفاءة!!

أرأيت أخي ماذا صنع التعصب المذهبي في أمة الإسلام، وقد سأل رجل الإمام أحمد عن الصلاة خلف من يعتقد أن الخارج من غير السبيلين لا ينقض الوضوء وهو ضد مذهبه، قال أحمد: سبحان الله، ألا تصلي خلف سعيد بن المسيب ومالك بن أنس!!. [مجموع الفتاوى ٢٠/٣٦٧].

وكذا لما صلى أبو يوسف خلف الرشيد بعد أن احتجم الرشيد، وعند مالك لا وضوء عليه بعكس الأحناف الذين يوجبون الوضوء على المحتجم، فقيل لأبي يوسف: أتصلي خلفه: فقال: سبحان الله، أمير المؤمنين، إن ترك الصلاة خلف الأئمة من شعائر أهل البدع. [المرجع السابق].

وهكذا كانت العلاقة بين أتباع المذاهب المختلفة أدبًا في الخلاف واحترامًا في الحوار وعدم تجريح المخالف.

فليقرأ أصحاب مدرسة الجرح والتجريح الذين لا يتورعون عن سبّ المخالف وإخراجه من أهل السنة دون اعتبار لأدب الخلاف وأنواعه.

٢- التعصب القبلي:

والعصبية القبلية من أقدم أنواع التعصب وهي إحدى سمات المجتمعات البدوية التي تقوم على علاقات الدم بدءًا بالأسرة وانتهاءً بالقبيلة، وشعارها انصر أخاك ولو كان في نصره عونًا على الظلم، فالاستجابة لنداء العصبية القبلية هو الحاكم، حتى قال بعضهم:

من لم يزد عن حوضه بسلاحه
يهدم ومن لا يظلم الناس يُظلم

[ديوان زهير ابن أبي سلمى].

وقال آخر:

ونشرب إن وردنا الماء صفوًا
ويشرب غيرنا كدرًا وطينًا

ولا يخفى عليك أخي ما حدث في حرب داحس والغبراء التي دارت رحاها بين عبس وذبيان، وكان سببها اعتراض فرس قيس بن زهير واسمها داحس وقد انتهت بخسائر فادحة في الأموال والأرواح، وكذا حرب البسوس بين قبيلتي بكر وتغلب والتي كان سببها ناقة واستمرت أربعين سنة، وأكلت الأخضر واليابس. والتعصب القبلي هو الذي كان حاكمًا قبل الإسلام، وقد حذر الإسلام منه، وأرشد الأمة إلى

سأل رجل الإمام أحمد عن الصلاة خلف من يعتقد أن الخارج من غير السبيلين لا ينقض الوضوء وهو ضد مذهبه، قال أحمد: سبحان الله، ألا تصلي خلف سعيد بن المسيب ومالك بن أنس!!

نبذه والتخلص من آثار تلك الجاهلية المقيتة.

وبين الشرع الحنيف أن الرباط الذي يجمع الناس هو رباط الإيمان ولا اعتبار للقوميات والألوان والألسن؛ فالتسوية بين جميع الشعوب، وعدم الاعتراف بتلك الفروق الجاهلية، فقال سبحانه: « يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن ذَكَرٖ وَأُنثَىٰ وَجَعَلۡنَٰكُمۡ شُعُوبٗا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْۚ إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡ » [الحجرات: ١٣]، وفي قوله صلى الله عليه وسلم لأبي ذر رضي الله عنه: «إنك امرؤ فيك جاهلية» وذلك عندما عيّر رجلاً بلون أمه.

والعصبية القبلية تصطدم مع المنهج الإسلامي في التسوية بين العباد، وقد أكد على هذا المعنى قول النبي صلى الله عليه وسلم في خطبة الوداع: « يَا أَيُّهَا النَّاسُ ألا إنَّ رَبَّكُمْ وَاحِدٌ، ألا وَإنَّ أَبَاكُمْ وَاحِدٌ، ألا لا فَضْلَ لعَرَبِيٍّ عَلَى عَجَمِيٍّ، ألا لا فَضْلَ لأَسْوَدَ عَلَى أَحْمَرَ إلا بِالتَّقْوَى، ألا قَدْ بَلَّغْتُ؟ " قَالُوا: نَعَمْ. قَالَ: " لِيُبَلِّغِ الشَّاهِدُ الْغَائِبَ " [السلسلة الصحيحة للألباني ٢٧٠٠].

وكذا بين الشرع الكريم أن الرابطة الإيمانية هي التي تجمع بين العباد، في قوله تعالى: (إِنَّمَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ إِخۡوَةٞ) [الحجرات: ١٠]، ودعا إلى نبذ حمية الجاهلية وروح القبلية والأعراف غير الموافقة للشريعة، في قوله سبحانه: « إِذۡ جَعَلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فِي قُلُوبِهِمُ ٱلۡحَمِيَّةَ حَمِيَّةَ ٱلۡجَٰهِلِيَّةِ » [الفتح: ٢٦]، وأكد على هذا المعنى قول النبي صلى الله عليه وسلم: (من قاتل تحت راية عميّة، يغضب لعصبة، أو يدعو إلى عصبة، أو ينصر عصبة، فقتل فقتلة جاهلية) [مسلم، ٤٨٩٢].

كما بين صلى الله عليه وسلم أن العصبية هي أن تعين قومك على الظلم.

٣- التعصب الحزبي:

وهو أخطر ما يهدد الأخوة الإسلامية المعاصرة، وذلك لأن الحزبية والطائفية تدفع المرء لأن ينغلق على نفسه، ولا يقبل الآخرين، فضلا عن أن فقدان الثقة في الآخرين والتشكيك في عملهم ونياتهم ، قد يؤدي إلى سفك الدماء وتفريق كلمة العلماء وانتشار الحقد والحسد والكراهية والتضاد بين أفراد الأمة الواحدة، ويتحول فيها المرء إلى عبد لحزبه يقدم مبادئه على قول الله ورسوله، ويتحول الخلاف السائغ إلى تراشق وعدوان باللسان، وقد يتحول إلى تقاتل وشجار.

> التعصب القبلي هو الذي كان حاكمًا قبل الإسلام، وقد حذر الإسلام منه، وأرشد الأمة إلى نبذه والتخلص من آثار تلك الجاهلية المقيتة.

ولا يخفى على عاقل ماذا فعلت الحزبية البغيضة بالأمة الإسلامية، يقول سبحانه: « إِنَّ ٱلَّذِينَ فَرَّقُواْ دِينَهُمۡ وَكَانُواْ شِيَعٗا لَّسۡتَ مِنۡهُمۡ فِي شَيۡءٍۚ إِنَّمَآ أَمۡرُهُمۡ إِلَى ٱللَّهِ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُواْ يَفۡعَلُونَ » [الأنعام: ١٥٩].

قال الطبري رحمه الله في تفسير تلك الآية: أخبر الله نبيه صلى الله عليه وسلم أنه بريء ممن فارق دينه وفرقه، وكانوا فرقاً فيه وأحزاباً وشيعاً، وأنه ليس منهم ولا هم منه». [تفسير الطبري ٨/ ١٠٦].

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: « التفرق والاختلاف المخالف للاجتماع والائتلاف حتى يصير بعضهم يبغض بعضا ويعاديه ويحب بعضا ويواليه على غير ذات الله، وحتى يفضي الأمر ببعضهم إلى الطعن واللعن والهمز واللمز. وببعضهم إلى الاقتتال بالأيدي والسلاح، وببعضهم إلى المهاجرة والمقاطعة؛ حتى لا يصلي بعضهم خلف بعض، وهذا كله من أعظم الأمور التي حرمها الله ورسوله» [مجموع الفتاوى ٢٢/ ٣٤٧].

والحمد لله رب العالمين.

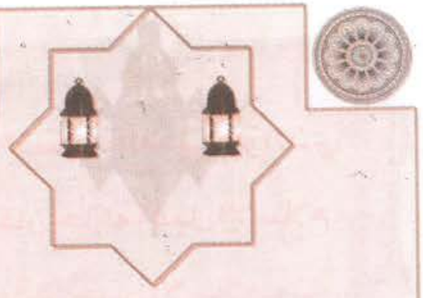

قرائن اللغة والنقل والعقل على حمل صفات اللّه (الخبرية) و(الفعلية) على ظاهرها دون المجاز

القرائن الشرعية على إثبات صفة (الوجه) لله تعالى وإبطال صرفها إلى المجاز

الحلقة (٤)

إعداد **د. محمد عبد العليم الدسوقي**

بسم الله والحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن والاه.. وبعد:

فبعد الحديث عن قرائن اللغة في حمل صفة الوجه لله تعالى على ظاهرها على الوجه اللائق بجلاله دون تكييف أو تجسيم، من المناسب أن نتناول أدلة الشرع على إثباتها له كذلك.. ونذكر من هذه الأدلة:

أولاً: أحاديث الاستعاذة بوجهه تعالى، ومنها:

١- ما أخرجه أبو داود ومسلم عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: (أعوذ بوجهك الكريم أن تضلني، لا إله إلا أنت الحي الذي لا يموت، والجن والإنس يموتون).

٢- وما رواه البخاري وغيره عنه صلى الله عليه وسلم من أنه حين نزل عليه قوله تعالى: (قُلْ هُوَ ٱلْقَادِرُ عَلَىٰٓ أَن يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِّن فَوْقِكُمْ)، قال: أعوذ بوجهك، (أَوْ مِن تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ) (الأنعام/ ٦٥) قال: أعوذ بوجهك.. الحديث).

٣- ما أورده أبو داود عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه إذا دخل المسجد قال: (أعوذ بالله العظيم وبوجهه الكريم وسلطانه القديم من الشيطان الرجيم)، فيقرن في الاستعاذة بين استعاذته بالذات واستعاذته بالوجه الكريم، وهذا نص صريح في مغايرة الوجه للذات، ودليل قاطع على إبطال قول من قال في الوجه بالمجاز.

٤- أثر كعب الأحبار، وفيه قوله: (أعوذ بوجه الله العظيم الذي ليس كمثله شيء أعظم-منه، وبكلمات الله التامات التي لا يجاوزهن بر ولا فاجر، وبأسماء الله الحسنى كلها ما علمت منها وما لم أعلم، من شر ما خلق وذرأ وبرأ).

٥- وقريب منه أثر سعيد بن المسيب وهو صحيح، من طريق عمرو بن مرة، قال: قلت لسعيد: علمني كلمات أقولهن عند المساء، قال: قل: (أعوذ بوجهك الكريم وباسمك العظيم، وبكلماتك التامة من شر السامة والعامة، ومن شر ما خلقت أي رب، ومن شر ما أنت آخذ بناصيته، ومن شر هذه الليلة ومن شر ما بعدها، وشر الدنيا وأهلها).. والتابعون ومن رووا عنهم من الصحابة، ما تعلموا ذلك ووقفوا على عظمه وأثره في الإجابة، إلا لوروده عن النبي صلى الله عليه وسلم على النحو الذي ذكرنا.

ثانياً: أحاديث السؤال بوجهه، ومنها:

٦- قوله صلى الله عليه وسلم فيما أخرجه البخاري في الأدب المفرد والنسائي وأبو داود وغيرهم: (من

استعاذ بالله فأعيذوه، ومن سألكم بوجه الله فأعطوه).. وقد كان الصحابة وتابعيهم يكرهون أن يسأل الإنسان بوجه الله شيئاً من أمور الدنيا، لعظم السؤال بوجهه تعالى، ولما جاء في السنن من حديث جابر عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (لا ينبغي لأحد أن يسأل بوجه الله إلا الجنة)، فكان طاووس يكره أن يسأل الإنسان بوجه الله.. فلو كان المراد بوجهه شيئاً آخر لما جاز أن يُقسم عليه ويسأل به، ولا كان ذلك أعظم ولا أبلغ من السؤال بذاته سبحانه، فدل ذلك على بطلان قول من قال: (هو ذاته) منكراً هذه الصفة، وبطلان من أخرجها إلى المجاز على أي وجه كان.

٧- وكذا ما ورد من أن رجلاً جاء إلى عمر بن عبد العزيز فرفع إليه حاجته، ثم قال: (أسألك بوجه الله)، فقال عمر: (لقد سألت بوجه الله)، فلم يسأل شيئاً بوجهه إلا أعطاه إياه، ثم قال عمر: (ويحك ألا سألت بوجه الله الجنة).. فهذا إقسام على الله بوجهه وسؤاله تعالى به، وما خص الوجه بالذكر إلا لكون السؤال به له من الفضل والإجابة ما ليس لغيره، وإلا لو كان المراد بوجهه سبحانه شيئاً آخر غير صفته لما أقره عمر ولما جاز أن يُسأل الله به ولا أن يُقسم على الله به، ولكان المسئول به والمقسم عليه به – من نحو القبلة وغيرها – أعظم من الله.

من صفات الله التي أثبتها الرسول صلى الله عليه وسلم لربه قوله : « أعوذ بوجهك الكريم أن تضلني لا إله الا أنت الحي الذي لا يموت ، والجن والإنس يموتون » .

ثالثاً: ما خُلع على الوجه من أوصاف:

٨- كما في قوله صلى الله عليه وسلم فيما رواه مسلم من حديث أبي موسى الأشعري: (إن الله لا ينام ولا ينبغي له أن ينام، يخفض القسط ويرفعه، يُرفع إليه عمل الليل قبل النهار وعمل النهار قبل الليل، حجابه النور لو كشفه لأحرقت سُبحات وجهه كل شيء أدركه بصره)، وفي رواية (ما انتهى إليه بصره من خلقه)، وفيهما دلالة على أن المراد بالوجه: حقيقته، ذلك أن إضافة السُبحات – التي هي الجلال والنور – إلى الوجه، وإضافة البصر إليه كذلك، إيذان بإبطال كل مجاز وبيان أن المراد حقيقة وجهه تعالى.

٩- وما أثر عن ابن مسعود من قوله: (ليس عند ربكم ليل ولا نهار، نور السموات والأرض من نور وجهه).. فهذا أيضاً لا يصح معه أن يحمل الوجه فيه على غير الحقيقة، ذلك أن إضافة النور إلى الوجه والوجه إلى الذات، دليل على أن نوره صفة ذاتية له، وعلى أن الوجه صفة ذاتية كذلك.. على أن هذا الذي قاله ابن مسعود – فضلاً عن أنه تفسير صحابي – هو معنى قوله تعالى: (الله نور السموات والأرض).

١٠- أن من تدبر سياق الأحاديث والآثار والآيات التي فيها ذكر وجه الله الأعلى ذي الجلال والإكـرام، من نحو قوله تعالى: (وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ) (الرحمن/ ٢٧).. قطع ببطلان قول من حملها على المجاز، هذا لو كان اللفظ أصلاً صالحاً لذلك في اللغة، فكيف واللفظ لا يصلح لذلك؟.

رابعا: النصوص الواردة في النظر إلى وجهه تعالى يوم القيامة:

١١- وفي صحيح مسلم عن صهيب t قال: قال صلى الله عليه وسلم: إذا دخل أهل الجنة الجنة، يقول الله عز وجل: (تريدون شيئا أزيدكم؟)، يقولون: ألم تبيض وجوهنا؟ ألم تدخلنا الجنة وتنجنا من النار؟ قال: فيكشف الحجاب، فما أعطوا شيئا أحب إليهم من النظر إلى ربهم.. ثم تلا الآية.. وهي في معنى قوله تعالى: (وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ) (القيامة/ ٢٢، ٢٣)، وقوله بحق من حرموا النظر إلى وجهه وفيما يعرف لدى الأصوليين بدليل المخالفة: (كَلَّا إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ) (المطففين/ ١٥).

١٢- ومن ذلك ما ورد في الصحيحين من حديث أبي هريرة من أن ناساً قالوا: يا رسول الله، هل نرى ربنا يوم القيامة؟، فقال صلى الله عليه وسلم: هل تضارون في رؤية القمر ليلة البدر؟،

قالوا: لا، قال: هل تضارون في رؤية الشمس ليس دونها سحاب؟ قالوا: لا، قال: فإنكم ترونه كذلك.

١٣- وقريب منه: أثر ابن مسعود - وقد أخرجه الطبراني في الكبير والحاكم في المستدرك وصححه، ووافقه الذهبي - وفيه: إن العبد إذا قال: (الحمد لله وسبحان الله ولا إله إلا الله والله أكبر وتبارك الله)، أخذها ملك فجعلها تحت جناحه، ثم صعد بها فلا يمر بها على جمع من الملائكة إلا استغفروا لقائلهن، ثم يجئ بها وجه الرحمن، قال: ثم قرأ عبد الله: (إِلَيۡهِ يَصۡعَدُ ٱلۡكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلۡعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ يَرۡفَعُهُۥ) (فاطر/ ١٠).

خامساً: أحاديث النهي عن الالتفات أو البصق تجاه القبلة في الصلاة:

١٤- وقوله صلى الله عليه وسلم كما في الصحيحين عن ابن عمر: (إذا قام أحدكم إلى الصلاة فلا يبصق قبل وجهه، فإن الله سبحانه قِبَل وجهه إذا صلى).. وفي رواية: (فإن ربه فيما بينه وبين القبلة).

١٥- ونظيره عن حذيفة موقوفاً ورفعه، عن الأعمش بن أبي وائل أنه قال: كنا في بيت حذيفة بن اليمان، فقام شبث بن ربعي، فصلى، فتفل بين يديه، قال: فقال له حذيفة: (يا شبث، لا تبصق بين يديك ولا عن يمينك، فإن عن يمينك كاتب الحسنات، ولكن عن يسارك أو من ورائك، فإن العبد إذا توضأ فأحسن الوضوء، ثم قام فصلى، أقبل الله عليه بوجهه يناجيه، فلا يصرفه عنه حتى ينصرف أو يحدث حدث سوء).

آمن الصحابة بصفات الله تعالى كالوجه ؛ فقال ابن مسعود رضي الله عنه: «ليس عند ربكم ليل ولا نهار ، نور السموات والأرض من نور وجهه» .

١٦- وقوله صلى الله عليه وسلم - فيما رواه البزار وابن خزيمة في صحيحه وابن حجر في إتحاف المهرة -: (إن المسلم إذا دخل في صلاته أقبل الله إليه بوجهه فيناجيه، فلا ينصرف حتى ينصرف عنه أو يحدث حدثاً).

١٧- وقوله فيما صححه الترمذي: (إن الله ينصب وجهه لوجه عبده ما لم يلتفت، فإذا صليتم فلا تلتفتوا).. إلى غير ذلك من النصوص التي لا دليل على صرفها عن ظاهرها إلى المجاز، لا لغة ولا شرعاً ولا عقلاً، بل هي دالة بما ذكرنا على حملها على حقيقتها.

سادساً: إجماع أهل السنة وأصحاب الحديث على إثبات صفة الوجه لله تعالى:

فقد ذكر الإمام الشافعي ت ٢٠٤ في معتقده برواية البرزنجي جمع د. الخميس: أن «القول في السنة التي أنا عليها، ورأيت أصحابنا عليها - أهل الحديث الذين رأيتهم وأخذت عنهم مثل: سفيان بن عيينة ومالك وغيرهما -: الإقرار بشهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، والإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله.. وأومن بجميع ما جاءت به الأنبياء صلوات الله عليهم أجمعين، ومن ذلك: أن لله أسماء وصفات جاء بها كتابه وأخبر به نبيه، وأن له تعالى وجهاً بقوله عز وجل: (كُلُّ شَيۡءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجۡهَهُۥ) (القصص/ ٨٨)، وقوله: (وَيَبۡقَىٰ وَجۡهُ رَبِّكَ ذُو ٱلۡجَلَٰلِ وَٱلۡإِكۡرَامِ) (الرحمن/ ٢٧).. إلخ)»..

كما ذكر الإمام محمد بن إسحاق بن خزيمة ت ٣١١ في كتاب التوحيد ص٣٧ بعد أن ذكر الآيات المثبتة لصفة الوجه: «فأثبت الله لنفسه وجهاً وصفه بالجلال والإكرام، وحكم لوجهه بالبقاء، ونفى الهلاك عنه، فنحن وجميع علمائنا من أهل الحجاز وتهامة واليمن والعراق والشام ومصر، مذهبنا أن نثبت لله ما أثبته لنفسه، نقر بذلك بألسنتنا ونصدق بذلك بقلوبنا من غير أن نشبه وجه خالقنا بوجوه أحد من المخلوقين، وعز ربنا أن نشبهه بالمخلوقين، وجل ربنا عما قالت المعطلة، وعز أن يكون عدماً كما قاله المبطلون»..

وهذا ما قرره أبو بكر الإسماعيلي ت ٣٧١ في كتابه: (اعتقاد أئمة أهل الحديث) ص ٥٥، قال: «ويثبتون أن له - سبحانه - وجهاً».. وكذا ابن زمنين ت ٣٩٩ في كتابه (أصول السنة) قال ص١١: «واعلم أن أهل العلم بالله وبما جاءت به أنبياؤه ورسله، يرون الجهل بما لم يخبر به تبارك وتعالى عن

نفسه علماً – يعني: بالكيف – والعجز عما لم يُدَع إيماناً، وإنهم إنما ينتهون من وصفه بصفاته وأسمائه إلى حيث انتهى في كتابه وعلى لسان نبيه، وقد قال وهو أصدق القائلين – (كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ) (القصص/ ٨٨)»..

والصابوني ت ٤٤٩ في كتابه: (عقيدة أصحاب الحديث) ضمن المجموعة المنيرية ١/ ١٠٧، قال: «وكذلك يقولون في جميع الصفات التي نزل بذكرها القرآن ووردت بها الأخبار الصحاح من السمع.. والوجه».. وفي تعليقه على قول ابن قدامة ت ٦٢٠ في لمعة الاعتقاد: (فمما جاء من آيات الصفات، قول الله تعالى: (وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ) (الرحمن/ ٢٧)، يقول شارحه ص ٢٥: «أجمع السلف على إثبات الوجه لله تعالى، فيجب إثباته له بدون تحريف ولا تعطيل ولا تكييف ولا تمثيل، وهو وجه حقيقي يليق بالله»أ.هـ.

نثبت لله ما أثبته لنفسه، نقر بذلك بألسنتنا ونصدق بذلك بقلوبنا من غير أن نشبه وجه خالقنا بوجوه أحد من المخلوقين، وعز ربنا أن نشبهه بالمخلوقين، وجل ربنا عما قالت المعطلة.

ردهم عادية المناوئين من متكلمة الأشاعرة وغيرهم، في: اتهامهم أهل الإثبات بالمشبهة والمجسمة:

وفي رد أهل السنة وأصحاب الحديث لعادية من اتهمهم بالمشبهة والمجسمة، يقول ابن خزيمة في (التوحيد) ص ٤٩ وما بعدها – وقد نقله عنه الأصبهاني في الحجة ١/ ٢١٧، ٢١٨ –: «وزعمت الجهمية أن أهل السنة ومتبعي الآثار – القائلين بكتاب ربهم وسنة نبيهم صلى الله عليه وسلم المثبتين لله من صفاته، ما وصف به نفسه في محكم تنزيله المثبَت بين الدفتين وعلى لسان نبيه – مشبهة.. جهلاً منهم بكتاب ربنا وسنة نبينا وقله معرفتهم بلغة العرب.. ونحن نقول وعلماؤنا جميعاً في الأقطار: (إن لمعبودنا عز وجل وجهاً كما أعلمنا الله في محكم تنزيله، فزواه بالجلال والإكرام وحكم له بالبقاء ونفى عنه الهلاك).. ونقول: (إن لبني آدم وجوهاً كتب الله عليها الهلاك ونفى عنها الجلال والإكرام، غير موصوفة بالنور والضياء والبهاء التي وصف الله بها وجهه، يدرك وجوه بني آدم أبصار أهل الدنيا لا تحرق لأحد شعرة فما فوقها لنفي السُبحات عنها التي بينها نبينا صلى الله عليه وسلم لوجه خالقنا)، ونقول: (إن وجوه بني آدم محدثة مخلوقة، لم تكن فكوَّنها الله بعد أن لم تكن مخلوقة، وأوجدها بعد أن كانت عدماً، وإن جميع وجوه بني آدم فانية غير باقية، تصير جميعاً ميتاً ثم تصير رميماً ثم ينشئها الله.. فتَلقى من النشور والحشر والوقوف بين يدي خالقنا في القيامة.. ما لا يعلم صفته غير الخالق، ثم إما تصير إلى الجنة منعمة فيها أو إلى النار معذبة).

فهل يخطر ببال عاقل يفهم لغة العرب ويعرف خطابها ويعلم التشبيه، أن هذا الوجه شبيه بذاك، اللهم إلا اتفاق اسم الوجه وإيقاع اسم الوجه على وجه بني آدم كما سمَّى الله وجهه وجهاً؟، ثم لو كان اتصاف الله بالوجه تشبيهاً من علمائنا، لكان كل قائل: (إن لبني آدم وجهاً وللقردة والكلاب والسباع والحمير والبغال والحيات والعقارب وجوها)، قد شبَّه وجوه بني آدم بوجوهها.. ولو أن أعقل المعطلة، قال له أكرم الناس عليه: (وجهك شبه وجه القرد أو.. أو.. إلخ)، لغضب وقذفه، ورماه بالكذب والزور والبهتان والعته والخبل والجنون ورفُع القلم عنه.. فإذا كان ما ذكرنا على ما وصفنا، فقد ثبت عند العقلاء وأهل التمييز أن من رمى أهل الآثار القائلين بكتاب الله وسنة نبيهم صلى الله عليه وسلم بالتشبيه، أنه قال الباطل والكذب والزور والبهتان، وخالف الكتاب والسنة وخرج من لسان العرب»ا.هـ باختصار..

وللحديث بقية بمشيئة الله

والحمد لله رب العالمين.

باب الفقه

أحكام الصلاة

صفة صلاة النبي صلى الله عليه وسلم

قراءة القرآن بعد الفاتحة

الحلقة
السابعة

إعداد
د. حمدي طه

الحمد لله وحده والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، وبعد:

تكلمنا في الحلقات السابقة عن الهدي العام لقراءته صلى الله عليه وسلم في الصلاة، وننهي اليوم بالحديث عن قراءة الإمام في الصلاة.

يُندب للإمام التخفيف في صلاة الجماعة مراعاةً لأحوال المصلين؛ لأن فيهم المريض والضعيف، والكبير الهرم والصغير وذا الحاجة، فيصلي بهم صلاة خفيفة لا تشقُّ عليهم، ولا يعني قولي هذا أن ينقُر الإمام صلاته نقر الغراب.

قال أبو عمر ابن عبد البر: التخفيف لكل إمام أمر مجمع عليه مندوب عند العلماء إليه إلا أن ذلك إنما هو أقل الكمال. وأما الحذف والنقصان -وهو المبالغة في التخفيف- فلا؛ لأن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قد نهى عن نقر الغراب، ورأى رجلاً يصلي فلم يتم ركوعه فقال له: «ارجع فصل؛ فإنك لم تصل». وقال: لا ينظر الله إلى من لا يقِيم صلبه في ركوعه وسجوده ثم قال: لا أعلم خلافًا بين أهل العلم في استحباب التخفيف لكل من أمَّ قومًا على ما شرطنا من الإتمام -أي عدم الإخلال بأركان وواجبات الصلاة- .

وقد روي عن عمر بن الخطاب أنه قال: لا تبغَضوا الله إلى عباده يطوّل أحدكم في صلاته حتى يشق على من خلفه [التمهيد٤/ ١٩ بتصرف].

والأصل في ذلك ما ورد عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال: «إذا أمَّ أحدكم الناس فليخفف، فإن فيهم الصغير والكبير والضعيف والمريض، فإذا صلى وحده فليصل كيف شاء» رواه البخاري ومسلم.

قلت: هذا القدر محل اتفاق بين الفقهاء إلا أنهم اختلفوا في حد التخفيف الوارد في الحديث فسلكوا مسالك شتى ويرجع السبب في اختلافهم في كيفية الجمع بين الأحاديث التي ورد فيها أمر النبي - صلى الله عليه وسلم - بالتخفيف والأحاديث التي ورد فيها قراءة النبي - صلى الله عليه وسلم - بالسور الطوال في بعض الصلوات وكذلك بعض الأحاديث التي وردت عن بعض الصحابة.

ولذلك سنبدأ بذكر الأحاديث محل البحث ثم نذكر أقوال العلماء في الجمع بينها ثم نذكر الراجح من هذه الأقوال

١- حديث أبي هريرة - رضي الله عنه - أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إذا أمَّ أحدكم الناس فليخفف،

فإن فيهم الصغير، والكبير، والضعيف، والمريض [وذا الحاجة] فإذا صلى وحده فليصل كيف شاء» رواه مسلم.

٢- حديث جابر بن عبد الله - رضي الله عنهما - أن معاذ بن جبل - رضي الله عنه - كان يصلي مع النبي صلى الله عليه وسلم صلاة العشاء ثم يرجع فيؤم قومه، فصلى العشاء فقرأ بالبقرة، فبلغ ذلك النبي صلى الله عليه وسلم فقال: «يا معاذ أفتانٌ أنت؟ أو فاتنٌ أنت؟» ثلاث مرات. «فلولا صليت بـ «سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الأَعْلَى»، و«وَالشَّمْسِ وَضُحَاهَا»، «وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَى»، فإنه يصلي وراءك: الكبير، والضعيف، وذو الحاجة» رواه البخاري ومسلم.

٣- حديث أبي مسعود - رضي الله عنه - قال: جاء رجل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: والله يا رسول الله إني لأتأخر عن صلاة الصبح من أجل فلان، مما يطيل بنا، فما رأيت النبي صلى الله عليه وسلم غضب في موعظة قط أشدَّ مما غضب يومئذ، ثم قال: «أيها الناس، إن منكم منفرين، فأيكم أمَّ الناس فليخفف، فإن فيهم [المريض]، والضعيف، والكبير، وذا الحاجة» رواه البخاري ومسلم.

٤- حديث أبي قتادة - رضي الله عنه - عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إني لأقوم في الصلاة أريد أن أطوِّل فيها، فأسمع بكاء الصبي فأتجوَّز في صلاتي كراهية أن أشق على أمِّه». وفي رواية عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال «ما صليت وراء إمام قط أخفَّ صلاة ولا أتمَّ من النبي صلى الله عليه وسلم، وإن كان ليسمعُ بكاء الصبي فيخفف مخافة أن تفتن أمه» رواه البخاري.

٥- حديث عثمان بن أبي العاص، وفيه: «أمَّ قومك، فمن أمَّ قوماً فليخفف، فإن فيهم الكبير، وإن فيهم المريض، وإن فيهم الضعيف، وإن فيهم ذا الحاجة، وإذا صلى أحدكم وحده فليصل كيف شاء» رواه مسلم.

٦- حديث أنس - رضي الله عنه - قال: «كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يوجز في الصلاة ويكمِّلها».

٧- حديث ابن عمر - رضي الله عنهما -: «كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يأمر بالتخفيف ويؤمنا بالصافات» رواه النسائي وصححه الألباني.

وقد ورد في مشروعية التخفيف أحاديث غير ما ذكرناه منها عن عدي بن حاتم عند ابن أبي شيبة. وعن سمرة عند الطبراني. وعن مالك بن عبد الله الخزاعي عند الطبراني أيضا. وعن أبي واقد الليثي عند الطبراني أيضا. وعن ابن مسعود عند البخاري ومسلم. وعن جابر بن عبد الله عند البخاري ومسلم أيضا. وعن ابن عباس عند ابن أبي شيبة. وعن حزم بن أبي بن كعب الأنصاري عند أبي داود. وعن رجل من بني سلمة يقال له سليم من الصحابة عند أحمد. وعن بريدة عند أحمد أيضا. وعن ابن عمر عند النسائي. [انظر: نيل الأوطار للشوكاني ١٦٧/٣].

قال الإمام ابن عبد البر: لا أعلم خلافاً بين أهل العلم في استحباب التخفيف لكل من أمَّ قوماً على ما شرطنا من عدم الإخلال بأركان وواجبات الصلاة.

أما الأحاديث التي ورد فيها قراءة النبي ببعض السور الطويلة فقد سبق ذكرها في هديه في القراءة في الصلاة صلى الله عليه وسلم كقراءته بسورة الأعراف والأنعام والمؤمنون والدخان ومحمد والفتح والصافات والطور.

وقد سلك بعض أهل العلم مَسلك في الجمع وهو أن التخفيف الوارد في الأحاديث هو الالتزام بما ورد عن النبي صلى الله عليه وسلم في هديه بما في ذلك قراءة السور الطويلة، وأشهر من تبنى هذا الرأي ابن قيم الجوزية رحمه الله حيث قال: «فالتخفيف أمر نسبي يرجع إلى ما فعله النبي صلى الله عليه وسلم، وواظب عليه؛ لا إلى شهوة المأمومين فإنه صلى الله عليه وسلم لم يكن يأمرهم بأمر ثم يخالفه، وقد علم أن من ورائه الكبير والضعيف وذا الحاجة فالذي فعله هو التخفيف الذي أمر به فإنه كان يمكن أن تكون صلاته أطول من ذلك بأضعاف مضاعفة فهي خفيفة بالنسبة إلى أطول منها وهديه الذي كان واظب عليه هو الحاكم على كل ما تنازع فيه المتنازعون ويدل عليه ما رواه النسائي وغيره عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: كان رسول الله صلى الله

عليه وسلم يأمرنا بالتخفيف ويؤمنا بـ (الصافات) فالقراءة بـ (الصافات) من التخفيف الذي كان يأمر به، والله أعلم». زاد المعاد ١/٢٠٣.

وأجاب عن شبهة التعارض بقوله: فالجواب أنه لا تعارض «بحمد الله» بين هذه الأحاديث بل هي أحاديث يصدق بعضها بعضا، وأن ما وصفه أنس من تخفيف النبي صلى الله عليه وسلم صلاته هو مقرون بوصفه إياها بالتمام كما تقدم وهو الذي وصف تطويله ركني الاعتدال حتى كانوا يقولون قد أوهم، ووصف صلاة عمر بن عبدالعزيز بأنها تشبه صلاة النبي صلى الله عليه وسلم، مع أنهم قدروها بعشر تسبيحات والتخفيف الذي أشار إليه أنس هو تخفيف القيام مع تطويل الركوع والسجود فلا تضرب سنن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعضها ببعض، بل يستعمل كل منها في موضعه، وتخفيفه إما لبيان الجواز وتطويله لبيان الأفضل، وقد يكون تخفيفه لبيان الأفضل إذا عرض ما يقتضي التخفيف فيكون التخفيف في موضعه أفضل والتطويل في موضعه أفضل؛ ففي الحالتين ما خرج عن الأفضل وهذا اللائق بحاله صلى الله عليه وسلم وجزاه عنا أفضل ما جزى نبيًا عن أمته وهو اللائق بمن اقتدى به وائتم به صلى الله عليه وسلم. حاشية ابن القيم على سنن أبي داود ٣/١٤٤.

وقد قسموا التخفيف المطلوب من الإمام أنه ينقسم إلى قسمين:

القسم الأول: تخفيف لازم، وهو ألا يتجاوز ما جاءت به السنة، فإن تجاوز ما جاءت به السنة فهو مطول، ودليل التخفيف اللازم: قولُ النَّبيِّ صلى الله عليه وسلّم: «صَلُّوا كما رأيتُموني أصَلي»، والمرادُ بالتَّخفيف: ما طابق السُّنَّة. (الشرح الممتع لمحمد بن صالح العثيمين ٤/١٩٠).

القسم الثاني: تخفيف عارض، وهو أن يكون هناك سبب يقتضي الإيجاز عما جاءت به السنة فيخفف أكثر مما جاءت به السنة، والدليل على ذلك تخفيف النبي صلّى الله عليه وسلّم الصلاة عند سماعه بكاء الصبي مخافة أن يشق على أمه، وهذان النوعان كلاهما من مراعاة مصلحة المأمومين بشرط ألا يخالف السنة. (الإمامة في الصلاة: د. سعيد بن علي بن وهف القحطاني ٢/٦٠).

أما المسلك الثاني في الجمع فهو لجمهور الفقهاء، قال الشوكاني: وأحاديث الباب تدل على مشروعية التخفيف للأئمة وترك التطويل للعلل المذكورة من الضعف والسقم والكبر والحاجة واشتغال خاطر أم الصبي ببكائه ويلحق بها ما كان فيه معناها[نيل الأوطار - الشوكاني ٣/١٦٧]

> التطويل والتخفيف من الأمور النسبية فقد يكون الشيء خفيفاً بالنسبة إلى عادة قوم طويلاً إلى عادة قوم آخرين.

وقال الطيبي: قيل بينهما، أي: بين أمره بالتخفيف وبين إمامته لهم بالصافات تناف، وأجيب: بأنه إنما يلزم إذا لم يكن لرسول الله صلى الله عليه وسلم فضيلة يختص بها. وقيل: يحمل على أنه فعل ذلك أحياناً لبيان الجواز، وإليه أشار النسائي حيث بوب على هذا الحديث: باب الرخصة للإمام في التطويل بعد: باب ما على الإمام من التخفيف. (مشكاة المصابيح للتبريزي مع شرحه مرقاة المفاتيح للمباركفوري ٤/١٦١).

وقال ابن حجر العسقلاني: «وأولى ما أخذ حد التخفيف من الحديث الذي أخرجه أبو داود والنسائي عن عثمان بن أبي العاص أن النبي صلى الله عليه وسلم قال له « أنت إمام قومك، وأقدر القوم بأضعفهم» (فتح الباري ٢/١٩٩).

وأختم البحث بما ذكره العلامة ابن دقيق العيد في بيان معنى التخفيف والتطويل حيث قال: التطويل والتخفيف من الأمور الإضافية فقد يكون الشيء خفيفًا بالنسبة إلى عادة قوم طويلاً بالنسبة إلى عادة قوم آخرين. [عون المعبود - العظيم آبادي ٣/٩].

وللحديث بقية إن شاء الله، والحمد لله رب العالمين.

فتاوى

فتاوى الأزهر، واللجنة الدائمة

صدقة الفطر وعلى من تجب؟

س١: من السيد / م م أ بطلبه المتضمن أنه يعمل بواب عمارة، ويعول أسرة مكونة منه ومن زوجته وبناته الثلاث، وعنده من القوت ما يكفيه مدة عشرة أيام بعد عيد الفطر وطلب السائل بيان هل تجب عليه صدقة الفطر؟

الجواب: صدقة الفطر واجبة شرعا على الحر المسلم المالك لنصاب فاضل عن حوائجه الأصلية وإن لم يكن النصاب ناميًا.

وتجب بطلوع فجر يوم الفطر ولا تسقط بالتأخير وهذا عند الحنفية.

ولم يشترط غير الحنفية من الأئمة الأربعة ملك النصاب لوجوب صدقة الفطر، بل أوجبوها على من يملك قوته وقوت عياله يوم العيد وليله فائضا عن حوائجه الأصلية، كما أوجبوها على المزك وعمن تلزمه نفقته، وطبقا لذلك تجب صدقة الفطر على ذلك السائل عند الأئمة الثلاثة عن نفسه وعن زوجته وبناته الثلاث.

زكاة الفطر عن الجنين

س٢: هل الطفل الذي ببطن أمه تدفع عنه زكاة الفطر أم لا؟

الجواب: يستحب إخراجها عنه لفعل عثمان رضي الله عنه، ولا تجب عليه لعدم الدليل على ذلك. وبالله التوفيق وصلى الله على نبينا محمد وآله وصحبه وسلم.

اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء

تأخير زكاة الفطر عن وقتها

س٣: كنت في سفر ونسيت إخراج زكاة الفطر، ولم نخرجها حتى الآن، وعندنا مصنع ومزرعة فيها عمال ويتقاضون أجرة، فهل لنا أن نصرف الفطرة عنهم أم يصرفونها هم عن أنفسهم؟

ج: أولاً: إذا أخر الشخص زكاة الفطر عن وقتها وهو ذاكر لها أثم وعليه التوبة إلى الله والقضاء؛ لأنها عبادة فلم تسقط بخروج الوقت كالصلاة، وحيث ذكرت عن السائلة أنها نسيت إخراجها في وقتها فلا إثم عليها، وعليها القضاء، أما كونها لا إثم عليها فلعموم أدلة إسقاط الإثم عن الناسي، وأما إلزامها بالقضاء فلما سبق من التعليل.

ثانيا: العمال الذين يتقاضون أجرة مقابل ما يؤدونه من عمل في المصنع والمزرعة هم الذين يخرجون زكاة الفطر عن أنفسهم؛ لأن الأصل وجوبها عليهم. وبالله التوفيق وصلى الله على نبينا محمد وآله وصحبه وسلم.

اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء

زكاة الفطر لا تسقط إلا بالأداء

س٤: بالطلب المقدم من السيد/ أ م ع - المتضمن أن السائل صام شهر رمضان الماضي بالسعودية، وذهب في الأسبوع الأخير منه إلى مكة وقام بأداء العمرة - وأراد إخراج زكاة الفطر. فسأل عن كيفية إخراجها فقيل له: أخرجها ليلة العيد، وقبل العيد بيوم ذهب السائل إلى الرياض لقضاء عطلة العيد، وفي الساعه الثانية عشر مساء ليلة العيد علم السائل أن العيد سيكون صباح اليوم التالي فسأل: أين يخرج الزكاة؟ فقيل له: عند ذهابنا لصلاة العيد فى الخلاء ستجد كثيرين جالسين في الطريق لأخذ الزكاة من الناس فتعطى منهم من تشاء.

وفي الصباح ذهب للصلاة ولكنه فوجىء بعدم وجود أحد في الطريق إطلاقا، ونتج عن هذا عدم إخراج الزكاة المقررة. وطلب السائل بيان الحكم الشرعى في هذا الموضوع. وهل يخرج الزكاة أم أنها أسقطت عنه وهل تجب كفارة عليه أم

ماذا يصنع

الجواب: المقرر فى فقه الحنفية أن زكاة الفطر تجب بطلوع فجر يوم العيد (عيد الفطر) ويستحب للناس أن يخرجوا هذه الزكاة صباح يوم الفطر قبل صلاة العيد، إغناء للفقراء والمساكين في يوم العيد عن السؤال، فإن قدموها قبل يوم الفطر جاز، وإن أخروها عن يوم الفطر لم تسقط عنهم وكان واجبا عليهم إخراجها، لأنها قربة مالية تثبت بالذمة فلا تسقط بعد الوجوب إلا بأداء كالزكاة ، وهذا باتفاق فقهاء المذاهب وعلى هذا فيجب على السائل شرعا أن يخرج زكاة الفطر الواجبة عليه، لأنها صارت دينا فى ذمته .
والظاهر من السؤال أن تأخيره فى دفعها لمستحقيها كان بعذر فنرجو ألا يأثم فى ذلك .
ومن هذا يعلم الجواب إذا كان الحال كما ورد بالسؤال .
والله سبحانه وتعالى أعلم.

[المفتي: جاد الحق، شيخ الأزهر الأسبق].

صوم الست من شوال

س٥: هل صيام الأيام الستة تلزم بعد شهر رمضان عقب يوم العيد مباشرة أو يجوز بعد العيد بعدة أيام متتالية في شهر شوال أو لا؟

الجواب: لا يلزمه أن يصومها بعد عيد الفطر مباشرة، بل يجوز أن يبدأ صومها بعد العيد بيوم أو أيام، وأن يصومها متتالية أو متفرقة في شهر شوال حسب ما يتيسر له، والأمر في ذلك واسع، وليست فريضة بل هي سنة. وبالله التوفيق وصلى الله على نبينا محمد وآله وصحبه وسلم.

اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء.

تعدد النية في العمل الواحد

س٦: هل يجوز للشخص أن يشرك النية في عمل واحد أو لعمل واحد. فمثلا يكون عليه قضاء يوم من شهر رمضان وجاء عليه يوم وقفة عرفة فهل يجوز أن ينوي صيام القضاء والنافلة في هذا اليوم وتكون نيته أداء القضاء ونية أخرى للنافلة. أو أن يجمع الحج والعمرة في وقت الحج؟ أفتونا أفادكم الله وجزاكم الله خير الجزاء.

الجواب: لا حرج أن يصوم يوم عرفة عن القضاء ويجزئه عن القضاء، ولكن لا يحصل له مع ذلك فضل صوم عرفة؛ لعدم الدليل على ذلك، وأما دخول العمرة في الحج فقد نص عليه الرسول صلى الله عليه وسلم بقوله صلى الله عليه وسلم: « دخلت العمرة في الحج إلى يوم القيامة ». [رواه مسلم]. وبالله التوفيق وصلى الله على نبينا محمد وآله وصحبه وسلم.

يستحب إخراج زكاة الفطر عن الجنين ، لكن لا يجب ذلك لعدم ورود الدليل عليه.

اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء

حكم التأمين على السيارة

س٧: ما حكم التأمين: مثل التأمين على السيارة، والتأمين على البضائع والعمال والمصانع. كما أن التأمين أحيانا يكون باختيار الشخص، وأحيانا يجبر عليه. كأن يشرط البائع أن تؤمن على السيارة التي يبيعها لك بالتقسيط، وكذلك الذي يرسل لك بضاعة من الخارج، وإذا كان هناك ما هو مباح وما هو محرم، وهل يعتبر التأمين من أنواع الربا؟

ج٢: ما ذكر في السؤال هو من التأمين التجاري، والتأمين التجاري محرم؛ لما يشتمل عليه من الغرر والجهالة اللذين لا يعفى عنهما، والمقامرة، وأكل المال بالباطل، والربا، وكل هذا دلت الأدلة على تحريمه، وما ذكره السائل من أنه أحيانا يجبر عليه، فليس في صور التأمين التجاري، ما يجبر عليه الشخص، بل هو الذي يدخل فيه باختياره، وفي إمكانه مثلا أن يشتري سيارة لا يترتب عليها تأمين، أو أن يشتري بضاعة تسليم ميناء الوصول، وهذا مسلك تجاري يسلكه التجار الذين يتحفظون من التعامل بالحرام. وبالله التوفيق، وصلى الله على نبينا محمد وآله وصحبه وسلم.

اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء

جماعة أنصار السنة المحمدية

تأسست عام ١٣٤٥ هـ - ١٩٢٦ م

ومن أهدافها

١ الدعوة إلى التوحيد الخالص المطهر من جميع الشوائب . وإلى حب الله تعالى حبًّا صحيحًا صادقًا يتمثل في طاعته وتقواه، وحب رسول الله صلى الله عليه وسلم حبًّا صحيحًا صادقًا يتمثل في الاقتداء به واتخاذه أسوة حسنة.

◆ ◆ ◆ ◆

٢ الدعوة إلى أخذ الدين من نبعيه الصافيين : القرآن والسنة الصحيحة، ومجانبة البدع والخرافات ومحدثات الأمور.

◆ ◆ ◆ ◆

٣ الدعوة إلى ربط الدنيا بالدين بأوثق رباط: عقيدةً وعملاً وخُلُقا

◆ ◆ ◆ ◆

٤ الدعوة إلى إقامة المجتمع المسلم، والحكم بما أنزل الله ، فكل مشرِّع غيره - فيما لم يأذن به الله تعالى - معتدٍ عليه سبحانه، منازِع إياه في حقوقه .

الآن

مفاجأة سارة

التوحيد
أوسع المجلات الإسلامية انتشاراً في العالم
٤٢ مجلد
اطلبوها من باعة الصحف والمكتبات
٨ شارع قولة . عابدين ت: ٢٣٩٣٦٥١٧ - ٢٣٩٥٤٥٦٠

موسوعة التوحيد

ببلاش

- بشرى سارة لإدارات الدعوة في فروع أنصار السنة بأنحاء الجمهورية .
- الموسوعة العلمية والمكتبة الإسلامية في شتى العلوم ، اثنان وأربعون عاماً من مجلة التوحيد .
- أكثر من ٨٠٠٠ بحث في كل العلوم الشرعية من مجلدات مجلة التوحيد .
- استلم الموسوعة ببلاش بدون مُقدَّم ؛ فقط ادفع ١٠٠ جنيه بعد الاستلام على ثمانية أشهر .
- من يرغب في اقتنائها فعليه التقدم بطلب للحصول عليها من إدارة الدعوة بالفرع التابع له أو من خلال قسم الاشتراكات بمجلة التوحيد بطلب مُزَكًّى من الفرع .
- علماً بأن نموذج طلب الشراء والإقرار المرفق به من قبل الفرع موجود على موقع أنصار السنة وصفحة الفيسبوك الخاصة بكل من رئيس التحرير وصفحة مجلة التوحيد .
- هدية لكل من يرغب في اقتناء كرتونة المجلدات عبارة عن فهرس عام للمجلة وفهرس موضوعي يسلم بعد طبعه للفروع والمشتركين .

ومفاجأة أخرى
المجلد الجديد لعام ١٤٣٤ هـ
موجود الآن؛ سارع بالحصول عليه بـ٢٥ جنيها فقط

التوحيد
١٤٣٤
١٤٣٣

☎ 23936517